حب الله نماذج وصور

الإهداء
حبّ الله نماذج وصور [١]
الحبّ في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)[١]
الحبّ في القرآن والروايات
على أبواب الحبّ
١ ـ باب (أحبّ الناس إلى الله)
٢ ـ باب (أحبّ الأعمال إلى الله)
٣ ـ باب (عبادة المحبّين)
٤ ـ باب (إذا أحبّ الله عبداً)
٥ ـ باب (علامة حبّ الله)
٦ ـ باب (من شرائط الإيمان حبّ الله)
٧ ـ باب (حبّ الله وحبّ الدنيا لا يجتمعان)
٨ ـ باب (محبّ الله يغفر له)
٩ ـ باب (كيف يعرف العبد أنّ الله يحبّه)
١٠ ـ باب (الناس يحبّون حبيب الله)
١١ ـ باب (كيف ندعو الناس إلى حبّ الله)
١٢ ـ باب (الحبّ في الله)
١٣ ـ باب (حبّ النبيّ المصطفى وأهل بيته الأطهار)[١]
١٤ ـ باب (المرء مع من أحبّ)
المناجاة الثامنة ـ مناجاة المريدين
المناجاة التاسعة ـ مناجاة المحبّين
لقطات ونماذج من الحبّ والعشق الإلهي
خاتمة المطاف - الإمام الحسين (عليه السلام) سيّد المحبّين

حب الله نماذج وصور

السيد عادل العلوي

الإهداء

إلى : عشّاق سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) **.**

إلى : أبناء المواكب الحسينية وبلابل بساتين الولاء ـ خطباء الطفّ والشعراء الرساليّين ـ ..

أُهدي هذه الرسالة (حبّ اللّه نماذج وصور) على أمل القبول والشفاعة .

العبد

عادل العلوي

حبّ الله نماذج وصور [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللطيف الذي يلهم العباد حبّه وشوقه ، وينعم عليهم بالتوفيق إلى ما يحبّ ويرضى.

والصلاة والسلام على حبيب الله ورسوله المصطفى خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد بن عبد الله.

وعلى آله وعترته أحبّاء الله وأوليائه الأطهار ، الأئمة الميامين الهداة الأبرار.

واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم ، وغاصبي حقوقهم أجمعين من بدء الخليقة إلى قيام يوم الدين.

---

[١]طبعت خلاصة الموضوع في مجلّة (نور الإسلام) البيروتية ، سنة ١٤١٥ هـ.

الحبّ في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)[١]

ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) مدرسة إنسانية إلهيّة ، ذات معالم وشعائر تتجدّد عبر العصور والأجيال ، فإنّ فيها دروس قيّمة ، ومفاهيم سامية ، ومعارف راقية ، وحضارة زاهية ، كلّ واحد ينظر فيها ويتطلّع إليها من زاويته الخاصّة ، وثقافته واختصاصه . فإنّها كالقرآن الكريم ، بل تجسيد للقرآن ومعانيه ومفاهيمه ومعارفه الرّبانيّة ، التي لا تبلى ولا تُخلق ، فإنّها غضّ جديد.

فإنّ الحسين (عليه السلام) هو القرآن الناطق وثورته منطق القرآن الصامت ، وإذا كان للقرآن بطون ، ولكلّ بطن بطون ، وإنّه يحمل وجوهاً ، كما ورد في الأخبار الشريفة ، فكذلك ثورة الحسين (عليه السلام) ، فإنّ كلّ عالم وعارف وباحث ومحقّق يجد ضالّته المنشودة في القرآن الكريم ، كذلك يجدها في ثورة الحسين وحياته المقدّسة ، والكلّ يقف بخضوع وخشوع أمام قداسة القرآن الكريم وعظمة ثورة الحسين (عليه السلام) ، ويغترف منهما ما يروي الظمأ ، ويشفي الغليل ، وينال بهما سعادة الدارين والحياة الطيّبة والعيش الرغيد.

والمقصود من هذه العجالة أن نستلهم درساً من دروس ثورته (عليه السلام) ، ونستنشق نسيماً عذباً من رياحينه العطرة ، ونستنير في دروب الحياة بشعلة وهّاجة من مشاعله الخالدة ، ألا وهو الحبّ والشعق الحسيني ، وهذا وإن كان كتاباً قطوراً يصعب ترجمته وبيانه ، وبحراً عميقاً يستحيل غوره وعبوره ، ولكن مسيرة ألف ميل خطوة ، وأوّل المطر الوابل قطرة ، عسى يكون ما نقدّمه مفتاحاً لآفاق جديدة في دراسة ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ، ومن الله سبحانه التوفيق والسداد.

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه :

(فَسَوْفَ يَأتي اللهُ بِقَوْم يُحِبّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[٢].

لغة الحبّ من أجمل وأروع اللغات في قاموس القرآن الكريم ، والسنّة النبويّة المقدّسة ، والأحاديث الشريفة المرويّة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ، فهناك المئات من الآيات الكريمة ، والأخبار الشريفة ، تتحدّث لنا عن الحبّ بصوره ونماذجه المختلفة والرائعة . وحبّذا أن نستعرض أوّلا بعض المفاهيم عن الحبّ ، ثمّ نعرّج إلى واقعة الطفّ الأليمة في كربلاء المقدّسة ، لتصوير بعض الوقائع والحوادث التي هي آية في الحبّ والشعق الحقيقي الخالص ، ونماذج حيّة وصور واقعيّة في حبّ الله سبحانه وتعالى.

---

[١]بداية هذا الموضوع كانت محاضرة دينيّة ألقاها المؤلف في

حسينية أهل البيت (عليهم السلام) لأهالي العمارة بقم المقدّسة سنة ١٤١٢ في عشرة محرّم الحرام ، ومن وحي المناسبة كان مطلع الحديث عن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) الخالدة ، والإشارة إلى جانب الحبّ الإلهي فيها.

[٢]المائدة : ٥٤.

الحبّ في القرآن والروايات

الحبّ لغةً وإصطلاحاً :

الحبّ لغةً :

هو الوداد والميل الشديد ويقابله البغض والتنفّر ، ويأتي على معان . فيقال : أحببت الشيء فهو محبّ واستحببته مثله ، ويكون الاستحباب بمعنى الاستحسان ، وحاببته حباباً من باب قاتل ، والحِبّ اسمٌ منه ، فهو محبوب وحبيب وحِبّ ، والأنثى حبيبة ، وجمعها حبائب ، وجمع المذكّر أحبّاء ، وحباب الماء تكسّر الموج الصغار ، والحُباب ضرب من الحيّات ، ويقال أحبّ البعير إحباباً إذا لصق بالأرض فلم يبرح ، والحبّة بذر والحَبُّ معروف من الحنطة والشعير ، والحِبُّ بزور الرياحين ومن هذا الباب : حبّة القلب سويداءه ، ويقال ثمرته ، ويأتي وِصف القِصر ، فالحبحباب الرجل القصير ، والحَبَب تنضّد الأسنان ، والحِباب من الماء النفاخات ، والمحبّة أبلغ من الإرادة ، والاستحباب أن يتحرّى الإنسان في الشيء أن يحبّه.

والحبّ مجرّداً : استعماله الصحيح في الفصيح أن يكون لازماً ، كالتعب والبغض ، يقال : تَعِبَ وبَغُض وحَبّ أي صار تعباً وبغيضاً وحبيباً . وبهذا المعنى استعملت في الآيات الكريمة ، كقوله تعالى :

(رَبِّ السِّجْنُ أحَبُّ إلَيَّ)[١].

(وَمَساكِنَ تَرْضَوْنَها أحَبُّ إلَيْكُمْ)[٢].

(لَيُوسُفُ وَأخوهُ أحَبُّ إلى أبينا مِنَّا)[٣].

أي أشدّ في كونه حبيباً.

(قَدْ شَغَفَها حُبَّاً)[٤].

أي قد شغفها الفتى من كونه حبيباً لها.

(وَتُحِبُّونَ المالَ حُبَّاً جَمَّاً)[٥].

أي من جهة كونه حبيباً.

ويأتي الحبّ بمعنى الإحباب ، فهو متعدٍّ بمعنى جعله حبيباً ، وميله إليه مع العلاقة ، والإحباب من الله تعالى لطف وتوجّه وإحسان وإكرام وإفضال ، وعدمه منه تعالى قطع تلك الألطاف والمراحم ، نعوذ به منه.

(إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدين)[٦].

(وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ)[٧].

(وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّار أثيم)[٨].

(فَإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ)[٩].

(وَاللهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ)[١٠].

(إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالا فَخوراً)[١١].

(إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوّاناً أثيماً)[١٢].

(لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ)[١٣].

وأمّا التحبيب فهو إحباب إذا كان النظر إلى جهة الوقوع . وأمّا الحَبّ فهو من ذلك المعنى ، من جهة كونه حبيباً للزارع ، ونتيجة عمله ، ومنتهى مقصده ، وميله وتوجّهه . وأمّا اللزوم والثبات واللصوق فمن لوازم المحبّة ، وسائر المعاني كلّها مجازات بمناسبات مخصوصة[١٤].

وأمّا الحبّ اصطلاحاً :

فهو الميل الباطني والقلبي نحو المحبوب ، ويقابله البغض والكراهة.

وقيل : الحبّ عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذّ ، فإن تأكّد ذلك الميل وقوى سمّي عشقاً.

وقيل : ميل الطبع إلى الملائم الملذّ ، ولا يتصوّر حبّ إلاّ بعد معرفة وإدراك ، وكذلك لا يتّصف بالحبّ جماد . ولا يحبّ الإنسان ما لا يعرفه ولم يدركه ، فالحبّ من خاصّية الحيّ الدرّاك ، بعد حصول الإدراك بالفعل.

ثمّ لمّا كانت المدركات منقسمة إلى ما يوافق طبع المدرك ويلذّه ، وإلى ما يخالفه ويؤلمه ، وإلى ما لا يؤثّر فيه بإلذاذ وإيلام ، فالقسم الأوّل يكون مرغوباً عند المدرك ، ويسمّي رغبة ، وميله إليه حبّاً ، والقسم الثاني يكون منفوراً عنده ، وتسمّى نفرته عنه كراهة وبغضاً ، والثالث لا يوصف بميل وكراهة ، فلا يوصف بكونه محبوباً ولا مكروهاً.

ثمّ اللذّة لمّا كانت عبارة عن إدراك الملائم الملذّ ونيله ، فالحبّ هو الميل والرغبة إليه ، لا يخلو عن لذّة محقّقة أو خياليّة ، وعلى هذا فيمكن أن تعرف المحبّة بأنّها ابتهاج النفس بإدراك الملائم ونيله ، ثمّ المدرك إن كان ممّا يستحسن حبّه شرعاً وعقلا ، كان كراهته وبغضه من الرذائل وحبّه من الفضائل ، وإن كان ممّا يذمّ حبّه ، كان بالعكس من ذلك.

ثمّ الحبّ والكراهة لمّا كانا تابعين للإدراك ، فإنّهما ينقسمان بحسب انقسام القوّة المدركة ـ التي هي الحواسّ الخمسة الظاهرة ـ والحواسّ الباطنة ، والقوّة العاقلة ، فمن الأوّل الصور الجميلة المرئيّة والنغمات الموزونة والروائح الطيّبة والملبوسات الليّنة وما شابه ذلك ، ومن الثاني كالصور الملائمة الخياليّة والمعاني الجزئيّة الملائمة بالنسبة إلى المتخيّلة والواهمة ، ومن الثالث كالمعاني الكلّية والذوات المجرّدة ، ولا ريب أنّ الثالث منها أقوى اللذات وأبلغها ، فإنّ البصيرة الباطنة أقوى وأنفذ من البصيرة الظاهرة ، والعقل أشدّ إدراكاً من الحسّ ، فالجمال الباطني أكثر لذّةً من الجمال الظاهري ، والمعرفة الباطنيّة أقوى من الظاهريّة.

ومن هذا المنطلق جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصلاة أبلغ المحبوبات عنده في الدنيا حيث قال : « حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة » ، فالالتذاذ بالطيب لذّة شمّية ، وبالنساء نظرية ولمسيّة ، وهما من مقدّمات الصلاة ، وإنّ الالتذاذ بها لذّة عقليّة تفوق اللذات فكانت قرّة عين الرسول (صلى الله عليه وآله).

ثمّ الحبّ بحسب مباديه المتعدّدة ينقسم على أقسام : كحبّ الإنسان وجود نفسه وبقاءه وكماله ، وكحبّه لغيره لأجل أ نّه يلتذّ منه لذّة حيوانيّة ، كحبّ الرجل للمرأة وبالعكس لأجل المقاربة ، وحبّ المأكولات والملبوسات وهو سريع الحصول وسريع الزوال ، وكحبّه للغير لأجل نفعه وإحسانه ، والإنسان عبد الإحسان ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « اللهمّ لا تجعل لفاجر عليّ يداً فيحبّه قلبي » ، وهو قابل للزيادة والنقصان بمقدار الإحسان ، وكحبّ الشيء لذاته ، لا لحظّ يناله منه وراء ذاته ، كحبّ الجمال والحسن ، فإنّ كلّ جمال محبوب عند مدركه وذلك لعين الجمال[١٥] ، ومن هذا القسم حبّ الناس للأنبياء والأوصياء وبذل النفس والنفيس من أجل دينهم ومذهبهم ، وكمحبّة بعض لبعض لمناسبة خفيّة أو مجانسة معنويّة ، فإنّ الأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ـ كما ورد في الخبر النبويّ الشريف ـ وكالحبّ لمن حصل بينه وبينه الاُلفة والاجتماع في بعض المواضع ، وكالمحبّة لمن يشاركه في وصف ظاهر ، كميل الصبيّ إلى الصبيّ لصباه ، والتاجر إلى التاجر لتجارته ، ووجب كلّ سبب وعلّة لمسبّبه ومعلوله وبالعكس ، كحبّ الأب لولده وبالعكس ، وكحبّ المعلّم لتلميذه وبالعكس ، وكمحبّة المتشاركين في سبب واحد بعضهم لبعض ، كمحبّة الإخوان والأقارب ، وكلّما كان السبب أقرب كانت المحبّة أوكد ، وقد يجتمع بعض أسباب المحبّة أكثرها في شخص واحد فيتضاعف الحبّ ، وقد تكون قوّة الحبّ بقدرة قوّة السبب[١٦].

هذا « وقد أنكر بعض العلماء إمكان محبّة الله عزّ وجلّ ، وذلك لندرة الإيمان بها ، وقال : لا معنى لها إلاّ المواظبة على طاعة الله عزّ وجلّ ، وأمّا حقيقة المحبّة فمحال إلاّ مع الحسن والمثال ، ولمّا أنكروا المحبّة أنكروا الاُنس والشوق ولذّة المناجاة وسائر لوازم الحبّ وتوابعه »[١٧].

يقول المحقّق الفيض الكاشاني في محجّته البيضاء :

ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبّة ، ثمّ بيان حقيقتها وأسبابها ، ثمّ بيان أن لا مستحقّ للمحبّة إلاّ الله عزّ وجلّ ، ثمّ بيان أنّ أعظم اللذّات ، لذّة النظر إلى وجه الله تعالى ، ثمّ بيان سبب زيادة لذّة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ، ثمّ بيان الأسباب المقوّية لحبّ الله تعالى ، ثمّ بيان السبب في تفاوت الناس في الحبّ لله ، ثمّ بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله عزّ وجلّ ، ثمّ بيان معنى الشوق ، ثمّ محبّة الله عزّ وجلّ للعبد ثمّ القول في علامات محبّة العبد لله تعالى ، ثمّ بيان معنى الأُنس بالله عزّ وجلّ ، ثمّ بيان معني الانبساط في الأُنس ... ثمّ بيان حكايات المحبّين وكلمات للمحبّين متفرّقة . راجع كلامه رفع الله مقامه.

إنّ الحبّ من المعاني الإضافيّة فهو رابط بين المحبّ وحبيبه ، والإنسان يمتلك غرائز ، منها غريزة الحبّ ، ويتجلّى هذا الحبّ وهذه الغريزة في سلوكه وحركاته وسكناته ، وبهذا المعنى ومن هذا المنطلق ينقسم باعتبار متعلّقاته إلى الحبّ المذموم والحبّ الممدوح ، كما ينقسم إلى الحبّ المجازي والحبّ الحقيقي ، وله مراتب طوليّة وعرضيّة ، فإنّ مفهومه كلّي مشكّك كالنور ، فإنّ بداية النور الحسّي ما يتبقّى من رأس عود الكبريت بعد إخماده ، ونهايته نور الشمس في رائعة النهار ، فبداية الحبّ هو الميل الباطني الجزئي الذي يوجد في تمام المخلوقات المتكاملة ، فكلّها محبّة في ذاتها تتحرّك بحركة جوهريّة للوصول إلى كمالها المنشود فيها ، فالنواة تطوي مراحل كمالها ، لتكون نخلة باسقة ، والنطفة تسبح في تكاملها لتكون إنساناً سميعاً بصيراً ، فكلّ ما في الكون يسبح ويسبّح بحمد ربّه ، ليصل إلى الكمال المودع في ذاته.

ونهاية الحبّ إلى الحبيب الذي لا نهاية له في ذاته وصفاته وأسمائه ، (فإلى الله المنتهى ، وإليه تصير الأمور ، وإنّك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقيه ، وإليه راجعون).

ويدلّ على مراتب الحبّ ـ حتّى حبّ الله ـ قوله تعالى :

(وَالَّذينَ آمَنوا أشَدُّ حُبّاً للهِ)[١٨].

فهو دليل على إثبات الحبّ لله ، وإثبات التفاوت فيه.

فكمال المحبوب هو الله سبحانه مطلق الكمال والكمال المطلق ، وإله من وَلَهَ بمعنى العشق والحبّ ، وإنّه المعشوق والمحبوب . فالمؤمن ولهان في عبادة ربّه وحبّه ، ولا يرى معبوداً وإلهاً وحبيباً سوى الله سبحانه وتعالى : (فقولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا) فإنّ النجاح والفلاح والصلاح في الحبّ الإلهي والعشق المقدّس ، لا العشق المجازي المذموم في الآيات والروايات ، فإنّ الإمام الصادق (عليه السلام) لمّا سئل عن العشق المجازي ـ كعشق قيس العامري وليلى ـ قال (عليه السلام) : « قلوب خَلَت عن ذكر الله فأذاقها الله حبّ غيره » [١٩].

فالحبّ ميل باطني وقلبي نحو المحبوب ، ويتولّد منه الشوق ، وهو

الميل والرغبة إلى الشيء المحبوب عند غيبته ، وهو يكون فيما أدرك الشيء من وجه ولم يدرك من وجه آخر ، فما لا يدرك أصلا لا يشتاق إليه ، إذ لا يتصوّر أن يشتاق أحد إلى شخص لم يره ولم يسمع وصفه ، وما أدركه بكماله لا يشتاق إليه أيضاً : فالشوق يختصّ تعلّقه بما أدرك من وجه دون وجه ، وذلك فيما يتّضح الشيء اتّضاحاً ما ولم يستكمل الوضوح ، فاحتاج إلى استكماله ، فيكون الشوق إلى ما بقي من المطلوب ممّا لم يحصل ، هذا وجه ، والوجه الآخر أن يدرك بعض كمالات المحبوب ، ووصل إليه وعلم إجمالا أ نّه له كمالات أخر ، فيكون له شوق إلى إدراك تلك الكمالات.

وأفضل مراتب الشوق هو الشوق إلى الله سبحانه وإلى لقائه وهي المظنّة إلى الوصول إليه ، وإلى حبّه وأُنسه والتقرّب إليه ، وهو رأس مال السالكين ، ومفتاح أبواب السعادة للطالبين ، الوجهان الموجبان للشوق متصوّران في حقّ الله سبحانه ، بل هما ثابتان وملازمان لجميع العارفين ، فلا يخلو عارف من الشوق إلى الله عزّ وجلّ ، ولا يسكن قطّ شوقه ، وما من عبد إلاّ ويرى فوق درجته ، درجات كثيرة لا نهاية لها :

(نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أيْديهِمْ وَبِأ يْمانِهِمْ يَقولونَ رَبَّنا أتْمِمِ لنا نورنا)[٢٠].

وفي بعض الكتب السماوية : « طال شوق الأبرار إلى لقائي ، وأنا إلى لقائهم لأشدّ شوقاً ».

وفي أخبار داود (عليه السلام) : « إنّي خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعّمتها بجلالي ».

وفيها أيضاً : « أ نّه تعالى أوحى إلى داود : يا داود ، إلى كم تذكر الجنّة ولا تسألني الشوق إليَّ ؟ قال : يا ربّ ، من المشتاقون إليك ؟ قال : إنّ المشتاقين إليَّ الذين صفّيتهم من كلّ كدر ، ونبّهتهم بالحذر ، وخرقت من قلوبهم إليّ خرقاً ينظرون إليّ ، وإنّي لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي ، ثمّ أدعو بملائكتي ، فإذا اجتمعوا سجدوا لي ، فأقول : إنّي لم أجمعكم لتسجدوا لي ، ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إليّ ، وأُباهي بهم إيّاكم ، فإنّ قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض ، يا داود إنّي خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ، ونعّمتها بنور وجهي ، فاتّخذتهم لنفسي محدّثين ، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض ، وقطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إليّ ، يزدادون في كلّ يوم شوقاً ».

وأوحى الله إليه أيضاً : « يا داود ، لو يعلم المدبورون عنّي كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم ، لماتوا شوقاً إليّ ، وتقطّعت أوصالهم عن محبّتي ».

وفي بعض الأخبار القدسيّة : إنّ لي عباداً يحبّونني وأُحبّهم ، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ، ويذكرونني وأذكرهم ، وأوّل ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم ، فيخبرون عنّي كما أُخبر عنهم ، ولو كانت السماوات والأرض وما فيهما في موازينهم

لاستعدبها لهم ، وآقبل بوجهي عليهم ، ولا يعلم أحد ما آريد أن أعطيه لهم »[٢١].

ثمّ حقيقة الدين والإيمان هو الحبّ كما ورد في الخبر الشريف : « هل الإيمان إلاّ الحبّ والبغض »[٢٢] فسبحانه وتعالى هو المحبوب الأصيل والأوّل ، ونحبّ كلّ شيء عليه اسم الله عزّ وجلّ بالتبع ، كما جاء في المناجاة : « اللّهم ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك ».

فالحبّ الحقيقي حبّ أُويس القرني قد مدحه الله ورسوله ، ويعطي للإنسان حركةً ونشاطاً نحو الإيمان الكامل والعمل الصالح.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : المشتاق لا يشتهي طعاماً ، ولا يلتذّ شراباً ، ولا يستطيب رقاداً ، ولا يأنس حميماً ، ولا يأوي داراً ، ولا يسكن عمراناً ، ولا يلبس ثياباً ، ولا يقرّ قراراً ، ويعبد الله ليلا ونهاراً ، راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه ، ويناجيه بلسان الشوق معبّراً عمّا في سريرته ، كما أخبر الله تعالى عن موسى بن عمران في ميعاد ربّه بقوله :

(وَعَجَلْتُ إلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضى)[٢٣].

وفسّر النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن حاله : « أ نّه ما أكل ولا شرب ولا نام » . فإذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا ، وودّع جميع المألوفات ، واصرفه عن سوى مشوّقك ، ولبّ بين حياتك وموتك ، لبّيك اللهمّ لبّيك ، أعظم الله أجرك ، ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همّة إلاّ خلاصه ، وقد نسي كلّ شيء دونه . وما ورد في الأدعية من المعصومين (عليهم السلام) من طلب الشوق أكثر من أن يحصى ، والظواهر القرآنية والروائية المثبتة للمحبّة والأُنس الإلهي تثبت الشوق أيضاً[٢٤].

فالحبّ تارةً يكون عاملا هدّاماً من ورائه الانحطاط والرذالة والهلاك والنار ، كما هو أساس الذنوب والآثام في العالم على مرّ العصور والأحقاب ، ويعلم ذلك من هذه الرواية الشريفة :

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أوّل ما عُصي الله تبارك وتعالى بستّ خصال : حبّ الدنيا وحبّ الرياسة وحبّ الطعام وحبّ النساء وحبّ النوم وحبّ الراحة[٢٥].

وأُخرى يكون الحبّ عاملا للتكامل والاعتلاء والتقدّم والازدهار ، وذلك لو كان لله سبحانه وفي الله عزّ وجلّ ومن الله وإلى الله وبالله جلّ جلاله.

قال الله تعالى :

(وَالَّذينَ آمَنوا أشَدُّ حُبّاً للهِ)[٢٦].

وعن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) : لا يمحض رجلٌ الإيمان

بالله حتّى يكون الله أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأمّه وأولاده وأهله وماله ومن الناس كلّهم.

وفي الدعاء الشريف : أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبّائك حتّى لم يحبّوا سواك ... ماذا وجد من فقدك ، وما الذي فقد من وجدك ، لقد خاب من رضي دونك بدلا.

وفي الخبر الشريف : إنّ موسى ناجى ربّه بالوادِ المقدّس فقال : يا ربّ إنّي أخلصت لك المحبّة منّي ، وغسلت قلبي عمّن سواك ـ وكان شديد الحبّ لأهله ـ فقال الله تبارك وتعالى :

(إِخْلَعْ نَعْلَيْكَ)[٢٧].

أي انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة ، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولة.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : القلب حرم الله ، فلا تسكن حرم الله غير الله.

وما أجمل وأروع هذا الحديث الشريف ، فإنّه من جوامع الكلم ، فإنّ الله يقول في حديث قدسيّ : « لا تسعني سمائي ولا أرضي ، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن » ، فما أعظم الإنسان هذا الكائن الذي لا زال مجهولا ، والذي يزعم أ نّه جرم صغير ، ولكن انطوى فيه العالم الأكبر ، وكان قلبه عرش الله وحرمه ـ الله أكبر ـ .

طوبى لمن عرف قدر نفسه ، وقيمة كلّ امرئ ما يحسنه ، فقيمه الإنسان في الدنيا والآخرة بمعرفته وعلمه ، وإنّه بطاعته يمكن أن يصل إلى هذا المقام العظيم ، والمنزلة الرفيعة ، حتّى يكون قلبه حرم الله سبحانه وتعالى يناجيه ربّه في سرّه ـ أي في نفسه وقلبه ـ يتكلّم مع ربّه.

فما أجمل الدنيا حينئذ ، وإنّها والله مزرعة الآخرة ومتجر أولياء الله سبحانه . فلا بدّ لنا أن نمنع الأغيار من دخولهم قلوبنا ، وسيّد الأغيار النفس الأمّارة بالسوء ، فإنّ أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك ، فمن عرف نفسه فقد عرف ربّه ، والقلب السليم أن يلقي الله سبحانه وتعالى ، وليس فيه سوى الله سبحانه ، ولا يلقّاها إلاّ ذو حظّ عظيم.

فلا بدّ أن نجلس على أبواب قلوبنا ، ونمنع غير الله ، فإنّ القلب حرم الله ، ولا تسكن حرم الله غير الله ، اللّهم اجعل قلبي بحبّك ميتّماً.

ومن دعائه (عليه السلام) : صلّ على محمّد وآلِ محمّد واشغل قلبي بعظيم شأنك وأرسل محبّتك إلَيَّ حتّى ألقاك وأوداجي تشخب دماً.

وفي الخبر : من طلبني وجدني ، ومن وجدني عشقني ، ومن عشقني قتلته ، ومن قتله فأنا ديته.

وأيضاً في الدعاء الشريف : اللّهم إنّي أسألك أن تملأ قلبي حبّاً لك وخشيةً منك ، وتصديقاً لك ، وإيماناً بك ، وفرقاً منك ، وشوقاً إليك . اللّهم اجعل حبّك أحبّ الأشياء إليّ ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي ، واقطع عنّي حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك.

والأدعية والأوراد والأذكار من الرسول المختار والأئمة الأطهار (عليهم السلام)المشحونة بالحبّ الإلهي ، وطلب حبّه منه سبحانه ، فإنّه من النعم التي يختصّ به الله أوليائه من عباده.

هذا غيض من فيض في جلالة وعظمة حبّ الله سبحانه ، وأمّا ما يورث حبّه وكيف لنا أن نصل إلى محبّته ، فقد جاء في الأخبار عن الأئمة الأبرار (عليهم السلام) ذلك ، وإليكم بعض النماذج :

قيل لعيسى (عليه السلام) علّمنا عملا واحداً يحبّنا الله عليه ، فقال : أبغضوا الدنيا يحببكم الله.

وفي حديث المعراج ، قال الله تعالى مخاطباً نبيّه الأكرم وحبيبه الأعظم : يا محمّد ، وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ ، ووجبت محبّتي للمتعاطفين فيّ ، ووجبت محبّتي للمتواصلين فيّ ، ووجبت محبّتي للمتوكّلين عليّ ، وليس لمحبّتي عَلَم ولا غاية ولا نهاية ، وكلّما رفعت لهم علماً وضعت لهم علماً.

وعن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) : من أكثر ذكر الموت أحبّه الله.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : طلبت حبّ الله عزّ وجلّ فوجدته في بغض أهل المعاصي.

وعنه (عليه السلام) : إذا تخلّى المؤمن عن الدنيا سما ، ووجد حلاوة حبّ الله وكان عند أهل الدنيا ، كأنّه قد خلوط ، وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله ، فلم يشتغلوا بغيره.

قال رجل للنبيّ (صلى الله عليه وآله) : يا رسول الله ، علّمني شيئاً إذا فعلته أحبّني الله من السماء ، وأحبّني الناس من الأرض فقال له : ارغب فيما عند الله عزّ وجلّ ، يحبّك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس.

وأمّا من يحبّهم الله سبحانه فقد قال في كتابه الكريم في مبرم خطابه المجيد :

(إنَّ اللهَ يُحِبُّ الُمحْسِنينَ)[٢٨].

(إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ)[٢٩].

(فإنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقينَ)[٣٠].

(وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرينَ)[٣١].

(إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلينَ)[٣٢].

(إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ)[٣٣].

(إنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذينَ يُقاتِلونَ في سَبيلِهِ صَفّاً كَأ نَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصوصٌ)[٣٤].

(قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنوبَكُمْ)[٣٥].

لقد تكرّرت لفظة (يحبّ) في القرآن كثيراً ، فما معنى حبّ الله تعالى ؟ لا يخفى أنّ المولى ليس بجسم ولا يمكن أن تطرأ عليه سبحانه ما يطرأ على الأجسام من صفات وخصوصيّات ، فحبّه تعالى عبارة عن إيجاده لآثار ذلك الحبّ ، لا حصول صفة في ذاته كما تحصل للإنسان صفة نفسانيّة ، فالمولى عندما يحبّ فإنّه يوجد ويخلق آثاراً لذلك الحبّ لتدلّ عليه ، وهكذا في الغضب ، فإنّ الانتقام والبطش والبلاء دليل على غضبه ، كما أنّ الهناء والرخاء والسعادة والاطمئنان دليل على حبّه ، وهكذا ... ولذا قالوا في هذا المورد : « خذ الغايات واترك المبادئ » فالقرآن يعدّد صفات كثيرة يحبّها الله ويحبّ من يتّصف بها مثل :

يحبّ المقسطين[٣٦] ، يحبّ التوّابين والمتطهّرين[٣٧] ، يحبّ المتّقين[٣٨] ، يحبّ المحسنين[٣٩] ، يحبّ الصابرين[٤٠] ، يحبّ المتوكّلين[٤١] ، يحبّ الذين يقاتلون في سبيله[٤٢] ، وغيرها كثير ، كما ذكرنا نماذج منها.

وهذه الصفات كلّها نجدها في المحبّين لله سبحانه ، وفي ساداتهم الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) ، فهذه الصفات تتجلّى كلّها في أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بل وأكثر . الأمر الذي دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقول عن فضائله أ نّها لا تحصى أبداً ، وإذا كان عليّ محبوباً عند الله تعالى لأ نّه جسّد الصفات التي يحبّها الله تعالى فيكون أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مورد حصول آثار الحبّ الإلهي ، فلا غرابة أن نجد صفة الشجاعة والقوّة الخارقة للعادة في الإمام عليّ (عليه السلام) ، لأ نّه في مقام القرب وفي مقام العندية وفي مقام الحبّ الإلهي ، ولا غرابة أن نجده جامع الأضداد ، فذلك كلّه من آثار الحبّ الإلهي له . لأنّ عليّاً سيّد المحبّين وعشّاق الله قد وضع نفسه في دائرة يحبّ ما يحبّه الله ويبغض ما يبغضه الله تعالى ، فمن جهة نراه قد جسّد الصفات التي يحبّها الله تعالى ، وأنكر وابتعد وأبعد أصحابه عن تلك الصفات التي لا يحبّها الله تعالى كالإثم والخيانة والكفر والإسراف والعدوان والظلم والاستكبار ... فكان لا بدّ من ظهور آثار الحبّ الإلهي عليه لوجود المقتضي وارتفاع المانع ...

ولا يخفى أنّ لكلّ صفة يحبّها الله أثراً خاصّاً بها وليست هي كلّها

متساوية الرتبة في الآثار فبعض الآثار ما يتّصل بجانب الروح والقلب والعقل ، وبعضها يتّصل بجانب البدن وإلى غير ذلك . فيظهر أنّ وجود الأمور العجيبة والغريبة والخارقة للعادة في شخصيّة الإمام عليّ أمر طبيعي جدّاً ، لأ نّه مورد عناية الله تعالى بفضل ما حقّقه وأنجزه في طريق الكمال[٤٣].

وفي حديث الإمام الباقر (عليه السلام) : « إنّ الله يحبّ المداعب بالجماعة بلا رفث ، المتوحّد بالفكرة ، المتحلّي بالصبر ، المساهر بالصلاة ».

وقال (عليه السلام) : إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين ، ويحبّ كلّ عبد شكور.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ثلاثة يحبّهم الله عزّ وجلّ : رجلٌ قام من الليل يتلو كتاب الله ، ورجلٌ تصدّق بيمينه يخفيها عن شماله ، ورجل كان في سريّة ، فانهزم أصحابه فاستقبل العدو.

وأمّا الذين لا يحبّهم الله ، فقال سبحانه في كتابه المجيد :

(إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدين)[٤٤].

(وَاللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّار أثيم)[٤٥].

(وَاللّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمينَ)[٤٦].

(إنَّ اللّهُ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالا فَخوراً)[٤٧].

(وَاللّهُ لا يُحِبُّ المُفْسِدينَ)[٤٨].

(إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ المُسْرِفينَ)[٤٩].

(إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الخائِنينَ)[٥٠].

(إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرينَ)[٥١].

(إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الفَرِحينَ)[٥٢].

(إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ)[٥٣].

(لا يُحِبُّ اللّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاّ مَنْ ظُلِمَ)[٥٤].

---

[١]يوسف : ٣٣.

[٢]التوبة : ٢٤.

[٣]يوسف : ٨ .

[٤]يوسف : ٣٠.

[٥]الفجر : ٢٠.

[٦]البقرة : ١٩٠.

[٧]البقرة : ٢٠٥.

[٨]البقرة : ٢٧٦.

[٩]آل عمران : ٣٢.

[١٠]آل عمران : ١٤٠.

[١١]النساء : ٣٦.

[١٢]النساء : ١٠٧.

[١٣]النساء : ١٤٨.

[١٤]مقتبس من (لسان العرب) و (تاج العروس) و (مجمع البحرين) و (مفردات الراغب).

[١٥]مقتبس من جامع السعادات ٣ : ١٣٦ ، ولكلام المصنّف تفصيل ، فراجع.

[١٦]جامع السعادات ٣ : ١٤١ ، وراجع في تفصيل ذلك المحجّة البيضاء ، المجلّد الثامن.

[١٧]المحجّة البيضاء ٨ : ٥.

[١٨]البقرة : ١٦٥.

[١٩]ميزان الحكمة ٦ : ٢١٤ . وقد تعرّضت لهذا المعنى بالتفصيل في (رسالة في العشق) ، وهو مطبوع ، فراجع.

[٢٠]التحريم : ٨ .

[٢١]جامع السعادات ٣ : ١٢٦.

[٢٢]ميزان الحكمة ١ : ٣٣٠.

[٢٣]طه : ٨٤ .

[٢٤]جامع السعادات ٣ : ١٣٣ ، والمحجّة البيضاء ٨ : ٥٥.

[٢٥]المواعظ العددية : ١٧٥.

[٢٦]البقرة : ١٦٥.

[٢٧]طه : ١٢.

[٢٨]البقرة : ١٩٥.

[٢٩]البقرة : ٢٢٢.

[٣٠]آل عمران : ٧٦.

[٣١]آل عمران : ١٤٦.

[٣٢]آل عمران : ١٥٩.

[٣٣]المائدة : ٤٢.

[٣٤]الصفّ : ٦٤.

[٣٥]آل عمران : ٣١.

[٣٦]المائدة : ٤٢.

[٣٧]البقرة : ٢٢٢.

[٣٨]آل عمران : ٧٦.

[٣٩]المائدة : ١٣.

[٤٠]آل عمران : ١٤٦.

[٤١]آل عمران : ١٥٩.

[٤٢]الصفّ : ٤.

[٤٣]عظمة أمير المؤمنين (عليه السلام) : ٥٣ ـ ٥٥.

[٤٤]البقرة : ١٩٠.

[٤٥]البقرة : ٢٧٦.

[٤٦]آل عمران : ٥٧.

[٤٧]النساء : ٣٦.

[٤٨]المائدة : ٦٤.

[٤٩]الأنعام : ١٤١.

[٥٠]الأنفال : ٥٨.

[٥١]النحل : ٢٣.

[٥٢]القصص : ٧٦.

[٥٣]الروم : ٤٥.

[٥٤]النساء : ١٤٨.

على أبواب الحبّ

إعلم أنّ في روايات النبيّ الأكرم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) أبواب عديدة في الحبّ وأقسامه وأبعاده ، وفي كلّ باب مفاهيم قيّمة ومطالب متنوّعة سامية ، لا يستغني عنها الباحث الإسلامي ، حبّذا أن يشار إلى بعض هذه الأبواب ، ونبذة يسيرة جدّاً من الروايات المرويّة في كلّ باب.

١ ـ باب (أحبّ الناس إلى الله)

عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ألا وإنّ أحبّ المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه ، ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أحبّ عباد الله إلى الله جلّ جلاله أنفعهم لعباده وأقومهم بحقّه ، الذين يحبّب إليهم المعروف وفعاله.

يقول الله تعالى : إنّ أحبّ العباد إليَّ المتحابّون بجلالي المتعلّقة قلوبهم بالمساجد المستغفرون بالأسحار ، أُولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم.

أحبّ المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأُمّة نبيّه ، وتفكّر في عيوبه ، وأبصر وعقل وعمل.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ رجلٌ صدوق في حديثه ، محافظ على صلواته وما افترض الله عليه مع أدائه الأمانة.

٢ ـ باب (أحبّ الأعمال إلى الله)

سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أيّ الأعمال أحبّ إلى الله ؟ قال : اتباع سرور المسلم . قيل : يا رسول الله ، وما اتباع سرور المسلم ؟ قال : شبعة جوعه ، وتنفيس كُربته ، وقضاء دينه.

أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ في الأرض الدعاء.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : من أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ زيارة قبر الحسين (عليه السلام).

الذكر أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ثلاثة يحبّها الله : قلّة الكلام ، وقلّة المنام ، وقلّة الطعام . ثلاثة يبغضها الله : كثرة الكلام ، وكثرة المنام ، وكثرة الطعام.

ثلاثة يحبّها الله سبحانه : القيام بحقّه ، والتواضع لخلقه ، والإحسان إلى عباده.

إنّ الله جميل ويحبّ الجمال ، إنّ الله يحبّ الرفق ، إنّ الله يحبّ إطعام الطعام.

وإذا أردت التفصيل في أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه فراجع بحار الأنوار ، كما يلي :

١ ـ ثلاث خصال هنّ أحبّ الأعمال . ٧٤ : ٣٦٥ / ١٢ + ٧٤ : ٣٦٠ / ٦

+ ١٣ : ٢٩٤ / ١٥ + ٧٨ : ٤٥٣ / ١٨

+ ٧٣ : ٣٨٦ / ١١.

٢ ـ إنّ أحبّ الأعمال إدخال السرور . ٧٤ : ٢٩٠ / ١٢ + ٧٤ : ٢٩٧ / ١٨

+ ٧٤ : ٣٦٥ / ٩ + ٧٤ : ٣١٢ / ١١

+ ٧٤ : ٣٦٩ / ١٧.

٣ ـ من أحبّ الأعمال إشباع جوعة المؤمن . ٧٤ : ٣٦٩ / ٢٠

+ ٧٤ : ٣٦٩ / ١٩.

٤ ـ أحبّ الأعمال إلى الله الدعاء .   ٩٣ : ٢٩٥ / ١ + ٩٣ : ٢٩٧ / ٥.

٥ ـ أحبّ الأعمال إلى الله الصلاة .   ٨٢ : ٢٣٣ / ٥ + ٨٢ : ٢٠٦ / ١٢

+ ١٠٠ : ١١ / ٥.

٦ ـ أحبّ الأعمال إلى الله انتظار الفرج . ١٠ : ٩٤ / ١٤ + ٥٢ : ١٢٣ / ١٦.

٧ ـ أحبّ الأعمال إلى الله ذكره .   ٨٢ : ٣٥٥ / ١٦.

٨ ـ أحبّ الأعمال إلى الله زيارة قبر الحسين (عليه السلام) . ١٠١ : ٤٩ / ١١.

٩ ـ أحبّ الأعمال إلى الله ما دام عليه .   ٨٣ : ٦ / ١٨ + ٨٧ : ٣٧ / ١٢

+ ٧١ : ٢١٩ / ١٦.

راجع في الحبّ ومشتقّاته كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار ، المجلّد السابع ، من الصفحة ٤٥٣٣ إلى ٤٦٢٨ ، وفي كلّ صفحة ١٥٠ كلمة (حبب) ومشتقّاتها تقريباً.

وقد تكرّرت مادّة الحبّ في بحار الأنوار أكثر من أربعة عشر ألف مرّة ، وفي القرآن الكريم ٨٥ مرّة ، فراجع.

٣ ـ باب (عبادة المحبّين)

عن رسول الله (صلي الله عليه وآله) : بكى شعيب (عليه السلام) من حبّ الله عزّ وجلّ حتّى عمي ، فردّ الله عزّ وجلّ عليه بصره ، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره ، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره ، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله إليه : يا شعيب ، إلى متى يكون هذا أبداً منك ؟ إن يكن هذا خوفاً من النار فقد آجرتك ، وإن يكن شوقاً إلى الجنّة فقد أبحتك . فقال : إلهي وسيّدي ، أنت أعلم إنّي ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنّتك ، ولكن عقد حبّك على قلبي فلست أصبر أو أراك . فأوحى الله جلّ جلاله إليه : أمّا إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران.

وهذا يعني أنّ القائد يخدم الجندي ، فإنّ موسى كان من أنبياء أُولي العزم ، وشعيب من أُمّته ورعيّته ومن جنده ، وهكذا يفعل الحبّ بأهله.

وممّا جاء في صحيفة إدريس : طوبى لقوم عبدوني حبّاً ، واتّخذوني إلهاً وربّاً وسهروا الليل ، ودأبوا النهار طلباً لوجهي ، ومن غير رهبة ولا رغبة ، ولا لنار ولا جنّة ، بل للمحبّة الصحيحة والإرادة الصريحة والانقطاع عن الكلّ إليّ.

فيما أوحى الله تعالى إلى داود : يا داود ، أبلغ أهل أرضي أنّي حبيب من أحبّني ، وجليس من جالسني ، ومؤنسٌ لمن آنس بذكري ، وصاحبٌ لمن صاحبني ، ومختارٌ لمن اختارني ، ومطيعٌ لمن أطاعني . وما أحبّني أحد أعلم ذلك يقيناً من قلبه ، إلاّ قبلته لنفسي ، وأحببته حبّاً لا يتقدّمه أحد من خلقي ، من طلبني بالحقّ وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني ، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها ، وهلمّوا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي ، وآنسوني أُونسكم وأُسارع إلى محبّتكم.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : إنّ الناس يعبدون الله عزّ وجلّ على ثلاثة أوجه : فطبقة يعبدونه رغبةً إلى ثوابه ، فتلك عبادة الحرصاء ، وهو الطمع . وآخرون يعبدونه خوفاً من النار ، فتلك عبادة العبيد ، وهي الرهبة . ولكنّي أعبده حبّاً له ، فتلك عبادة الكرام ، وهو الأمن لقوله تعالى :

(وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنونَ)[١].

(قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنوبَكُمْ)[٢].

فمن أحبّ الله عزّ وجلّ أحبّه الله ، ومن أحبّه الله عزّ وجلّ كان من الآمنين.

[١]النمل : ٨٩ .

[٢]آل عمران : ٣١.

٤ ـ باب (إذا أحبّ الله عبداً)

عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أ نّه قال : يا ربّ ، وددت أن أعلم من تحبّ من عبادك فأُحبّه ؟ فقال : إذا رأيت عبدي يكثر ذكري ، فأنا أذنت له في ذلك وأنا أُحبّه ، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني ، فأنا حجبته وأنا أبغضته.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : إذا أحبّ الله عبداً ألهمه حسن العبادة ... حبّب إليه الأمانة ... زيّنه بالسكينة والحلم ... ألهمه الصدق ... ألهمه رشده ووفّقه لطاعته ... خطر عليه العلم ... بغّض إليه المال وقصّر منه الآمال ... رزقه قلباً سليماً وخلقاً قويماً ... ابتلاه فإذا أحبّه الحبّ البالغ افتناه . قالوا : وما إفتنائه ؟ قال : لا يترك له مالا ولا ولداً . إذا أكرم الله عبداً أشغله بمحبّته.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : من سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه ، فليعمل بطاعة الله وليتبعنا ، ألم يستمع قول الله عزّ وجلّ لنبيّه (صلى الله عليه وآله) :

(قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعوني ...)[١].

وقال (عليه السلام) : إذا أحبّ الله عبداً ألهمه الطاعة ، وألزمه القناعة ، وفقّهه في الدين وقوّاه باليقين ، فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف . وإذا أبغض الله عبداً حبَّب إليه المال وبسط له وألهمه دنياه ووكله إلى هواه ، فركب العناد وبسط الفساد وظلم العباد.

---

[١] آل عمران : ٣١.

٥ ـ باب (علامة حبّ الله)

لكلّ شيء علامة ، ومحبّ الله له علامات ، وإنّما يقف عليها ويعلمها من كان منهم ، ورسول الله وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) هم سادة المحبّين وأسوتهم ، ومن إمامة أئمة الهدى (عليهم السلام) أ نّهم أشاروا إلى علامات كلّ طائفة ، كعلامات المؤمنين والمتّقين والمنافقين والمخلصين والمحبّين ، حتّى لا يلتبس ويشتبه الأمر على من يبحث عنهم ليقتدي بهم كالمتّقين ، أو ليتجنّبهم ويحذرهم كالمنافقين.

واعلم أنّ المحبّة يمكن أن يتصوّر كلّ واحد من نفسه ويدّعيها ، فما أسهل الدعوى ، وما أعزّ المعنى ، فلا يغترّ الإنسان بتلبيس الشياطين وخدع النفس مهما ادّعت محبّة الله عزّ وجلّ ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلّة ، والمحبّة شجرة طيّبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح ، وتدلّ تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبّة دلالة الدخان على النار ، ودلالة الثمار على الأشجار ، فهي كثيرة ، منها :

١ ـ حبّ لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام ، فيحبّ ما يوصله إلى لقاء حبيبه كالموت ، فلا يفرّ منه ، وعنه (صلى الله عليه وآله) : « من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقائه » ، وإذا كره الموت فهو من باب فراق الأحبّة في الدنيا وهو لا ينافي حبّ الله ، وربما يكره الموت لعدم الاستعداد الكامل للقاء الله سبحانه.

٢ ـ أن يكون مؤثراً ما أحبّه الله عزّ وجلّ على ما يحبّه في ظاهره وباطنه ، فيجتنب اتّباع الشهوات ، ويترك الكسل والضجر ويتقرّب إلى الله بالطاعات والنوافل ، ويقدّم إرادة الله على إرادته :

أريد وصاله ويريد هجري *** فأترك ما أُريد لما يريد

وقال آخر :

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه *** هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبّك صادقاً لأطعته *** إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

فعلامة المحبّ إيثاره من أحبّه على نفسه ، فمن أحبّ الله عمل بطاعته وترك المناهي ، فيحبّه الله ويعينه على أعدائه ، فهو وليّه :

(وَاللّهُ أعْلَمُ بِأعْدائِكُمْ وَكَفى بِاللهِ وَلِيّاً وَكَفى بِاللهِ نَصيراً)[١].

فينصره على عدوّه ، وأعدى عدوّ الإنسان نفسه التي بين جنبيه ، فيعينه على نفسه ، بإتيان الواجبات والمستحبّات وترك المحرّمات

والمكروهات ، وإنّ المعصية تخرج المحبّ عن كمال حبّه.

٣ ـ من أحبّ الله فإنّه ينشغل دائماً بذكره ، فلا يفتر عنه لسانه ، ولا يخلو عنه قلبه : « واجعل لساني بذكرك لهجاً ، وقلبي بحبّك متيّماً » ، فيحبّ محبوب الله كالقرآن والعترة الطاهرة والرسول الأعظم (عليهم السلام).

فمن أحبّ من يحبّ الله فإنّما أحبّ الله عزّ وجلّ ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنّما يكرم الله جلّ جلاله.

٤ ـ يأنس المحبّ بخلوة حبيبه ومناجاته في السرّ والعلن ، وفي الليل والنهار ، فيواظب على التهجّد ، لا سيّما في الأسحار ، ومن أحبّ الله لا يسكن إلاّ إليه ، وعلامة المحبّة كمال الأُنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعّم بالخلوة به « وقد خلا كلّ حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك أنت المحبوب إليّ » فتقرّ عين المحبّ بخلوة حبيبه « وإذا جنّهم الليل فروا ويقولون سنخلو بحبيب قلوبهم » ، وأوحى الله إلى داود (عليه السلام) : « قد كذب من ادّعى محبّتي إذا جنّه الليل نام عنّي ، أليس كلّ محبوب يحبّ لقاء حبيبه ؟ فها أنا ذا موجود لمن يطلبني ».

٥ ـ الزهد في الدنيا ، فلا يتأسّف على ما يفوته ممّا سوى الله ، وإنّما يعظم تأسّفه على فوت كلّ ساعة خلت عن ذكر الله سبحانه ، فيرجع إليه بالتوبة والاستغفار والإنابة.

٦ ـ أن ينعّم بالطاعة ولا يستثقلها ، فإنّ العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ، بل يستلذّ خدمته بقلبه وروحه ، وإن كان شاقّاً على بدنه ، فالمحبّ يبذل كلّ ما عنده ، يبذل النفس والنفيس من أجل محبوبه ، كما فعل ذلك الأنبياء والأولياء ومنهم سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي (عليهم السلام).

٧ ـ أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله ، رحيماً بهم ، شديداً على جميع أعداء الله :

(أشِدَّاءُ عَلى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ)[٢].

ولا تأخذه في الله لومة لائم ، فيبغضون لمحارم الله ومعاصيه ، كما يغضب النمر إذا حرد وغضب.

٨ ـ أن يكون في حبّه خائفاً ، فإنّ إدراك العظمة يوجب الهيبة ، كما أنّ إدراك الجمال يوجب الحبّ ، فالمحبّ يخاف إعراض محبوبه ، والحجاب بينه وبينه ، وخوف الإبعاد ، وشيّبت سورة هود سيّد المرسلين ، ففيها :

(ألا بُعْداً لِعاد قَوْمِ هودْ)[٣].

(ألا بُعْداً لِـثَمود)[٤].

(ألا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعُدَتْ ثَمود)[٥].

فحديث البعد في حقّ المبعدين يشيّب سماعه أهل القرب في القرب ، ثمّ خوف الوقوف وسلب المزيد ، فإنّ « من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان يومه شرّاً من أمسه فهو ملعون » ، ويقول الله سبحانه : « إنّ أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوة الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي » ، ثمّ خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته ، ثمّ خوف السلوّ عنه ، فالمحبّ لا يتسلّى إلاّ بلطف جديد ، ثمّ خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبّه إلى حبّ غيره ، فمن أحبّ شيئاً خاف لا محالة فقده.

٩ ـ كتمان الحبّ ، واجتناب الدعوى ، والتوقّي من إظهار الوجد والمحبّة ، تعظيماً للمحبوب وإجلالا له . والحبّ سرّ من أسرار الحبيب.

١٠ ـ الأنس والرضا من آثار الحبّ[٦] ، وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة المحبّة ، وما لا يثمره الحبّ فهو اتّباع الهوى ، وهو من رذائل الأخلاق.

قيل : والناس في محبّة الله عامّ وخاصّ ، فالعوامّ نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه ، فلم يتمالكوا أن أحبّوه ، إلاّ أ نّه تقلّ محبّتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان ، وأمّا الخاصّة فنالوا المحبّة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرّد بالملك ، فلمّا عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسني لم يمتنعوا أن أحبّوه ، إذا أ نّه استحقّ عندهم بذلك المحبّة لأ نّه أهلٌ لها ، فعبدوا الله حبّاً له لا خوفاً من ناره ، ولا طمعاً في جنّته ، بل عبادة الأحرار حبّاً وشوقاً وشكراً وأ نّه أهل لذلك ، ولو أزال عنهم جميع النعم.

لا تُخدعنّ فللمحبّ دلائل *** ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعّمه بمرّ بلائه *** وسروره في كلّ ما هو فاعل

فالمنع منه عطيّة مبذولة *** والفقر إكرام وبرّ عاجل

ومن الدلائل أن يرى في عزمه *** طوع الحبيب وإن ألحّ العاذل

ومن الدلائل أن يرى متبسّماً *** والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل أن يرى متفهّماً *** لكلام من يحظى لديه السائل[٧]

وأمّا علامات المحبّين في الروايات ، فمنها :

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : علامة حبّ الله تعالى حبّ ذكر الله ، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله عزّ وجلّ.

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : القلب المحبّ لله يحبّ كثيراً النصب لله ، والقلب اللاهي عن الله يحبّ الراحة ، فلا تظنّ يا بن

آدم أ نّك تدرك رفعة البرّ بغير مشقّة ، فإنّ الحقّ ثقيل مرّ ...

حبّ الله نار لا يمرّ على شيء إلاّ احترق ، ونور الله لا يطلع على شيء إلاّ أضاء.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : حبّ الله إذا أضاء على سرّ عبد أخلاه عن كلّ شاغل وكلّ ذكر سوى الله عند ظلمة ، والمحبّ أخلص الناس سرّاً لله ، وأصدقهم قولا ، وأوفاهم عهداً ، وأزكاهم عملا ، وأصفاهم ذكراً ، وأعبدهم نفساً ، تتباهى الملائكة عند مناجاته ، وتفتخر برؤيته ، وبه يعمر الله تعالى بلاده ، وبكرامته يكرم عباده ، يعطيهم إذا سألوا بحقّه ، ويدفع عنهم البلاء برحمته ، فلو علم الخلق ما محلّه عند الله ومنزلته لديه ما تقرّبوا إلى الله إلاّ بتراب قدميه[٨].

فيما أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) : كذب من زعم أ نّه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عنّي ، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه ؟ ! ها أنا ذا يا بن عمران مطّلع على أحبّائي ، إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم ، ومثّلت عقربتي بين أعينهم ، يخاطبوني عن المشاهدة ، ويكلّموني عن الحضور.

فيما أوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام) : يا داود ، من أحبّ حبيباً صدّق قوله ، ومن رضي بحبيب رضي فعله ، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه ، ومن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير إليه ...

سأل أعرابي أمير المؤمنين (عليه السلام) عن درجات المحبّين ما هي ؟ قال (عليه السلام) : أدنى درجاتهم من استصغر طاعته ، واستعظم ذنبه ، وهو يظنّ أن ليس في الدارين مأخوذ غيره ، فغشي على الأعرابي ، فلمّا أفاق قال : هل درجة أعلى منها ؟ قال (عليه السلام) : نعم ، سبعون درجة ...

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : أُجري القلم في محبّة الله فمن أصفاه الله بالرضا فقد أكرمه ، ومن ابتلاه بالسخط فقد أهانه ، والرضا والسخط خلقان من خلق الله ، والله يزيد في الخلق ما يشاء.

وقال (عليه السلام) : إنّ أُولي الألباب الذين عملوا بالفكرة حتّى ورثوا منه حبّ الله ـ إلى أن قال ـ : فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبّته في خالقه ، فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى فعاين ربّه في قلبه ، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء ، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء ، وورث الصدق بغير ما ورثه الصدّيقون ، إنّ الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت ، وإنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب ، وإنّ الصدّيقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة.

أوحى الله إلى بعض الصدّيقين أنّ لي عباداً من عبيدي يحبّوني وأُحبّهم ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم ، ويذكروني وأذكرهم ، أوّل ما أعطيهم ثلاثاً :

الأوّل : أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنّي كما أُخبر عنهم.

والثاني : لو كانت السماوات والأرضون وما فيها من مواريثهم لاستقللتها لهم.

والثالث : أُقبل بوجهي عليهم ، أفترى من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحدٌ ما أُريد أن أُعطيه ؟ !

عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) : قال الله : ما تحبّب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ ممّا افترضته عليه ، وإنّه ليتحبّب إليَّ بالنافلة حتّى أُحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، إذا دعاني أجبته ، وإذا سألني أعطيته.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : نجوى العارفين تدور على ثلاثة أُصول : الخوف والرجاء والحبّ ، فالخوف فرع العلم ، والرجاء فرع اليقين ، والحبّ فرع المعرفة ، فدليل الخوف الهرب ، ودليل الرجاء الطلب ، ودليل الحبّ إيثار المحبوب على ما سواه ، فإذا تحقّق العلم في الصدر خاف ،] فإذا كثر المرء في المعرفة خاف [وإذا صحّ الخوف هرب ، وإذا هرب نجا ، وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل ، وإذا تمكّن من رؤية الفضل رجا ، وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب ، وإذا وفّق للطلب وجد ، وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبّة ، وإذا هاج ريح المحبّة استأنس ظلال المحبوب ، وآثر المحبوب على ما سواه ، وباشر أوامره] واجتنب نواهيه واختارهما على كلّ شيء غيرهما ، وإذا استقام على بساط الأُنس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب نواهيه [وصل إلى روح المناجاة والقرب ، ومثال هذه الأُصول الثلاثة كالحرم والمسجد والكعبة ، فمن دخل الحرم أمن من الخلق ، ومن دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في المعصية ، ومن دخل الكعبة أمن قلبه من أن يشغله بغير ذكر الله.

فانظر أ يّها المؤمن ، فإن كانت حالتك حالة ترضاها لحلول الموت ، فاشكر الله على توفيقه وعصمته ، وإن تكن الأُخرى فانتقل عنها بصحّة العزيمة ، واندم على ما سلف من عمرك في الغفلة ، واستعن بالله على تطهير الظاهر من الذنوب ، وتنظيف الباطن من العيوب ، واقطع زيادة الغفلة عن نفسك ، واطفِ نار الشهوة من نفسك.

وعنه (عليه السلام) : لا يمحض رجلٌ الإيمانَ بالله حتّى يكون الله أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأُمّه وولده وأهله وماله ومن الناس كلّهم.

---

[١]النساء : ٤٤.

[٢]الفتح : ٢٩.

[٣]هود : ٦٣.

[٤]هود : ٧١.

[٥]هود : ٩٧.

[٦]لقد ذكرت تفصيل الاُنس بالله في رسالة (مقام الاُنس بالله) ، وهو مطبوع ، فراجع.

[٧]خلاصة واقتباس من المحجّة البيضاء ٨ : ٦٨ ـ ٧٩.

[٨]بحار الأنوار ٦٧ : ٢٣.

٦ ـ باب (من شرائط الإيمان حبّ الله)

لقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحبّ لله من شروط الإيمان في أخبار كثيرة ، إذ قال أبو رزين العقيلي : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ « قال : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليك ممّا سواهما » . وفي حديث آخر : « لا يؤمن أحدكم حتّى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما » . وفي حديث آخر : « لا يؤمن العبد حتّى أكون أحبّ إليه من ماله وأهله والناس أجمعين » . وفي رواية « ومن نفسه ».

كيف ، وقد قال الله تعالى :

(قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ) إلى قوله : (أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ)[١] الآية.

وإنّما جرى ذلك في معرض التهديد والإنكار ، وقد أمر (عليه السلام) بالمحبّة فقال : « أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمة ، وأحبّوني لحبّ الله إيّاي ».

وقد يروى أنّ رجلا قال : يا رسول الله ، إنّي اُحبّك . فقال : استعدّ للفقر . فقال : إنّي اُحبّ الله ، فقال : استعدّ للبلاء.

وعن عمر ، قال : نظر النبيّ (عليه السلام) إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطّق به ، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : « انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوّر الله قلبه ، لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، فدعاه حبّ الله وحبّ رسوله إلى ما ترون ».

وفي الخبر المشهور : « إنّ إبراهيم (عليه السلام) قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلا يميت خليله ؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : هل رأيت محبّاً يكره لقاء حبيبه ؟ فقال : يا ملك الموت ، الآن فاقبض » . وهذه لا يجدها إلاّ عبدٌ يحبّ الله عزّ وجلّ بكلّ قلبه ، فإذا علم أنّ الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ، ولم يكن له محبوب غيره ، حتّى يلتفت إليه ، وقد قال نبيّنا (صلى الله عليه وآله) في دعائه : « اللهمّ ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك ، وحبّ ما يقرّبني إلى حبّك ، واجعل حبّك أحبّ إليّ من الماء البارد »[٢].

---

[١] التوبة : ٢٣.

[٢] المحجّة البيضاء ٨ : ٥ ـ ٦.

٧ ـ باب (حبّ الله وحبّ الدنيا لا يجتمعان)

يا تُرى أو تدري أنّ حبّ الدنيا وحبّ الله لا يجتمعان في قلب عبد ، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة ، وحبّ الله رأس كلّ طاعة ، ويستحيل اجتماعهما في جوف واحد في آن واحد ، فهما متضادّان ومتناقضان ، فالقلب إمّا أن يكون حرم الله وعرشه ، لا يدخل الحرم إلاّ من كان طاهراً متطهّراً تقيّاً نقيّاً كالملائكة ، وإمّا أن يكون عشّ الشيطان قد عشعش فيه وباض وفرّخ ـ كما ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ فيكون القلب دار سلطنة الشيطان ـ والعياذ بالله ـ وإذا كان الشيطان سلطان القلب فإنّه يأمر بالفحشاء والمنكر ، وبداية دخوله القلب بالوسوسة ـ الذي يوسوس في صدور الناس ـ ونهايته السلطنة والحكومة وحينئذ يأمر عبيده ـ جوارح الإنسان وجوانحه ـ بالفحشاء والمنكر والفساد في الأرض ، وأمّا إذا كان الحاكم في القلب هو الله سبحانه فإنّه يأمر بالعدل والإحسان والخير ، وهذا يعني أنّ الإنسان لا بدّ أن يكون على حذر تامّ ، وإنّما يستجيب لدعوة ربّه الكريم الحكيم ، فإنّه بين دعوتين : دعوة ربّانية إلهية نورانيّة ، كالدعوة إلى الخير والصلح والوحدة والإيمان والعمل الصالح ، ودعوة شيطانيّة رذيلة ناريّة ، كالدعوة إلى الشرّ والفسق والفجور والظلم والكفر والفرقة والتخاصم . والله سبحانه قد خلق الإنسان مختاراً ليكون مظهراً لاختياره ، وهداه النجدين : نجد الخير ونجد الشرّ ، وعلامة نجد وطريق الخير حبّ الله ، وعلامة نجد وطريق الشرّ حبّ الدنيا ، فلا يجتمعان في قلب أبداً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

حبّ الدنيا وحبّ الله لا يجتمعان في قلب أبداً.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) :

كيف يدّعي حبّ الله من سكن قلبه حبّ الدنيا.

وقال :

كما إنّ الشمس والليل لا يجتمعان ، كذلك حبّ الله وحبّ الدنيا لا يجتمعان.

وقال : إن كنتم تحبّون الله فأخرجوا من قلوبكم حبّ الدنيا ، من أحبّ لقاء الله سلا عن الدنيا.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : والله ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا ووالى غيرنا.

٨ ـ باب (محبّ الله يغفر له)

إنّ شواهد القرآن متظافرة على أنّ الله عزّ وجلّ يحبّ عبده ، كقوله تعالى :

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[١].

وقال عزّ وجلّ :

(إنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذينَ يُقاتِلونَ في سَبيلِهِ صَفَّاً)[٢].

وقال سبحانه :

(إنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ)[٣].

وقد ردّ سبحانه على من ادّعى أ نّه حبيب الله ، فقال :

(قُلْ فَلِمَ يُعِذِّبُكُمْ بِذُنوبِكُمْ)[٤].

فحبّ الله عبده يستوجب غفران ذنبه ، وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أ نّه قال : « إذا أحبّ الله عبداً لم يضرّه ذنب ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، ثمّ تلا :

(إنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابينَ).

ومعناه أ نّه إذا أحبّه تاب عليه قبل الموت فلم تضرّه الذنوب الماضية ، وإن كثرت وزادت ، كما لا يضرّ الكفر الماضي بعد الإسلام ، فإنّ الإسلام يجبّ عمّا قبل.

وقد اشترط الله للمحبّة غفران الذنوب ، فقال :

(قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنوبَكُمْ)[٥].

وقال زيد بن أسلم : إنّ الله ليحبّ العبد حتّى يبلغ من حبّه له أن يقول : إعمل ما شئت فقد غفرت لك.

ومعلوم أنّ العبد المحبّ لا يعمل إلاّ بطاعة الله وما يوجب رضوانه وقربه وجنانه ، فيتقرّب إليه بالنوافل ، حتّى يصل إلى درجة الحبّ ، فيكون تقرّبه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربّه ، فينبسط في حضرته القدسيّة ، ويرتع في رياض قدسه ، ويكون كالعبد والملك ، حينما يتقرّب إليه حتّى يكون بين يديه ، ولا يكون ذلك إلاّ بالبعد عن صفات البهائم والسباع والشياطين ، والتخلّق بمكارم الأخلاق الإلهيّة ، فهو قريب

بالصفة لا بالمكان ، فقرب كلّ واحد بقدر كماله ومعرفته وحبّه وطاعته وشوقه ، وعلامة حبّ الله للعبد أن يوحشه من غيره ، حتّى يأنس به ، فإنّ من استأنس بالله استوحش من الناس ، ويحول بينه وبين غيره ، وفي الخبر : « إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، وإن رضي اصطفاه ».

وقال (عليه السلام) : « إذا أحبّ الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قبله يأمره وينهاه » . « وإذا أراد الله بعبد خيراً بصّره بعيوب نفسه ».

ومن أخصّ علامات الحبّ أن يحبّ الإنسان ربّه ، ومن علامات حبّ الله لعبده بعد غفران ذنبه أن يتولّى أمره وصلاحه ، ويدبّر ظاهره وباطنه ، ويزيّن أخلاقه ويحييه حياة طيّبة ، راضية مرضيّة ، ويناجيه في سرّه ، ويحبّب إليه طاعته ومعرفته ، وغير ذلك من عنايته وألطافه العامّة والخاصّة ، الظاهرة والباطنة ، في السرّ والعلن ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وليتنافس المتنافسون.

---

[١]المائدة : ٥٩.

[٢]الصفّ : ٤.

[٣]البقرة : ٢٢٢.

[٤]المائدة : ٢١.

[٥]آل عمران : ٢٩.

٩ ـ باب (كيف يعرف العبد أنّ الله يحبّه)

هذا من الأُمور المهمّة والصعبة ، فعندنا في الروايات : إذا أردت أن تعرف من أخيك المؤمن أ نّه يحبّك ، فارجع إلى قلبك ، فإنّه يحكي عمّا في قلب صاحبك ، فإذا كنت تحبّه فإنّه يحبّك أيضاً ، فإنّ القلب يهدي إلى القلب ، وأنّ القلوب سواقي ، وإذا شعرت النفرة فإنّ أحدكما أحدث ما لا يرضي الآخر ، وفي مثل هذا المورد عليك أن تسأله عن السبب ، حتّى لا يصل الأمر إلى سوء الظنّ وسوء التفاهم ، ومن ثمّ التفاقم والقطعيّة ، وغير ذلك من السلبيات التي بنيت على شيء لا أصل له ، هذا مع الناس.

يا ترى هل هناك علامة يمكن للإنسان أن يعرف مقداره عند ربّه ، وأنّ الله سبحانه وتعالى يحبّه ، أو يبغضه ، فإنّه عزّ وجلّ مريد وكاره ، محبّ ومبغض ، وربما يحبّ ذات الشيء ، وربما يحبّ صفته ، كما ورد في الخبر الشريف : « إنّ الله يحبّ الكافر السخيّ ، ويبغض المؤمن البخيل » ، ومعلوم إنّما يحبّ صفة السخاء لأ نّه هو السخيّ ، فيحبّ ذلك حتّى من الكافر ، كما إنّه يبغض صفة البخل حتّى من المؤمن الذي يحبّ إيمانه وذاته ، فيكون وليّه ليخرجه من ظلمات الصفات الذميمة إلى نور حسن الأخلاق والسجايا الحميدة ، كما إنّ الطاغوت أولياء الذين كفروا يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، من نور السخاء مثلا على أ نّه لا ينفع وأنّ الناس لا يستحقّون أن يسخى عليهم ، ولماذا هذا الكرم والجود فإنّه الإسراف والتبذير وما شابه ، فيخرجونهم من نور السخاء إلى ظلمة البخل ، وهكذا باقي الصفات.

فيا ترى هل العبد يمكنه أن يعرف مقامه عند ربّه.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الأربعمائة ، قال لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) : « من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله ، فلينظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب ، كذلك منزلته عند الله تبارك وتعالى »[١].

فإنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع ، فمن أطاع الله فإنّه يدلّ ذلك على حبّه ومعرفته ، وإنّ الله يحبّه أيضاً (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) ، فيكون الحبّ بين العبد وربّه متبادلا ، وما أجمل مثل هذا الحبّ والعشق ؟ ! اللهمّ ارزقنا ذلك بحقّ محمّد وآله.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : من أحبّ أن يعلم ما له عند الله ، فليعلم ما لله عنده[٢].

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : من أحبّ أن يعلم كيف مزلته عند الله ؟ فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإنّ كلّ من خيّر له أمران : أمر الدنيا وأمر الآخرة ، فاختار أمر الآخرة على الدنيا ، فذلك الذي يحبّ الله ، ومن اختار أمر الدنيا ، فذلك الذي لا منزلة لله عنده.

روي أنّ موسى (عليه السلام) قال : يا ربّ ، أخبرني عن آية رضاك عن عبدك ، فأوحى الله تعالى إليه : إذا رأيتني أُهيّئ عبدي لطاعتي ، وأصرفه عن معصيتي ، فذلك آية رضاي.

وفي رواية أُخرى : إذا رأيت نفسك تحبّ المساكين ، وتبغض الجبّارين ، فذلك آية رضاي[٣].

---

[١]البحار ٦٧ : ١٨ ، عن معاني الأخبار : ٢٣٦ ، والخصال ٢ : ١٥٩ ، والمحاسن ٢٥٢.

[٢]البحار ٦٧ : ١٨ ، عن معاني الأخبار : ٢٣٦ ، والخصال ٢ : ١٥٩ ، والمحاسن ٢٥٢.

[٣]البحار ، عن أعلام الدين للديلمي.

١٠ ـ باب (الناس يحبّون حبيب الله)

لقد حدث في حياتك ولو لمرّة ، أ نّه ترى شخصاً لم تره من قبل ، ولكن تشعر من قلبك أ نّك تحبّه ، حتّى تقول لآخر : لا أدري لماذا أحبّ هذا الشخص مع أ نّي لم ألتقِ به من قبل ؟ !

هذا يرجع إلى أمر غيبي ، فإنّ من كان حبيب الله ، فإنّه سبحانه يلقي محبّته وودّه في قلوب المؤمنين (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً) [١] ، وحتّى ورد في الخبر الشريف : إنّ محبّة المؤمن تلقي في الماء ، فمن شرب من ذلك الماء ، فإنّه يحبّ المؤمن . وكأ نّه هذا من الأمور التكوينيّة ، وورد « أنّ الكاسب حبيب الله » و « أنّ المجاهد في سبيل الله حبيب الله » ، فكلّ واحد منّا يحبّ الكاسب والكادّ لعياله ، الذي يبذل ما في وسعه ويتعب نفسه من أجل راحة وترفيه عائلته وأسرته ، كما إنّ كلّ واحد منّا يحبّ المجاهد ، حتّى ولو لم يعرفه ، وهذا من الأسرار الغيبيّة ، كما أ نّه يحبّ المحبوب عند الله عزّ وجلّ.

والعجيب أنّ محبّ الله يحبّه من في السماوات والأرض من الطيبّين الأخيار.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إذا أحبّ الله عبداً من اُمّتي قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكّان عرشه محبّته ، ليحبّوه ، فذلك المحبّ حقّاً ، طوبى له ثمّ طوبى له ، وله عند الله شفاعة يوم القيامة[٢].

---

[١] مريم : ٩٦.

[٢] البحار ٦٧ : ٢٤ ، عن مصباح الشريعة : ٦٤.

١١ ـ باب (كيف ندعو الناس إلى حبّ الله)

فإنّ معرفة اُسلوب الدعوة إلى الله سبحانه وإلى حبّه ، لها تأثير بالغ في نجاح العمل وسلامته وديموميّته.

والله سبحانه هو المعلّم الأوّل يهدينا من خلال أنبيائه الكرام وأوصيائهم الأطهار والعلماء الأبرار.

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

قال الله عزّ وجلّ لداود (عليه السلام) : أحبّني وحبّبني إلى خلقي.

قال : يا ربّ ، نعم أنا اُحبّك ، فكيف اُحبّبك إلى خلقك ؟

قال : اُذكر أياديّ ـ أي نعمي وآلائي وفضلي ـ عندهم ، فإنّك إذا ذكرت ذلك لهم أحبّوني.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) :

أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) : أحببني وحبّبني إلى خلقي . قال موسى : يا ربّ ، إنّك لتعلم أ نّه ليس أحد أحبّ إليّ منك ، فكيف لي بقلوب العباد ؟ فأوحى الله إليه : فذكّرهم نعمتي وآلائي ، فإنّهم لا يذكرون منّي إلاّ خيراً.

ثمّ العلماء ورثة الأنبياء ، فمن مسؤولياتهم الخطيرة دعوة الناس إلى حبّ الله سبحانه وتعالى وطاعته وطاعة أنبيائه وأوصيائهم الأطهار (عليهم السلام).

وإلاّ فكما جاء في دعاء عرفة عن الإمام الحسين (عليه السلام) :

عميت عين لا تراك عليها رقيباً ، خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً ...

١٢ ـ باب (الحبّ في الله)

حبّ الله له جلوات ومظاهر ، ومن أعظمها وأجلاها الحبّ في الله سبحانه وتعالى ، وهو من روح الدين ومن أوثق عرى الإسلام كما ورد في الروايات الشريفة.

والمتحابّين في الله في ظلّ عرشه ، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرب ، وكلّ نبيّ مرسل . وإنّهم يذهبون إلى الجنّة بغير حساب ، وإنّهم يسمّون في القيامة جيران الله ، ويدخلون الجنّة بغير حساب [١].

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أوثق عُرى الإسلام أن تحبّ في الله وتبغض في الله.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) :

إنّ من أوثق عرى الإيمان أن تحبّ في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله[٢].

عنه (عليه السلام) : من أحبّ كافراً فقد أبغض الله ، ومن أبغض كافراً فقد أحبّ الله ، ثمّ قال : صديق عدوّ الله عدوّ الله.

عنه (عليه السلام) : من أحبّ لله وأبغض عدوّه ، لم يبغضه لوتر وتره في الدنيا ، ثمّ جاء يوم القيامة بمثل زبد البحر ذنوباً ، كفّرها الله له.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) : وهل الإيمان إلاّ الحبّ والبغض ، ثمّ تلا هذه الآية : (حَبَّبَ إلَيْكُمُ الإيْمانَ)[٣].

وعنه (صلى الله عليه وآله) : أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله تعالى.

الحبّ في الله فريضة ، والبغض في الله فريضة.

وبمثل هذه الروايات القدسية الشريفة يكون التولّي والتبرّي من فروع الدين.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك ، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله عزّ وجلّ ، ويبغض أهل معصيته ففيك خير ، والله يحبّك ، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير ، والله يبغضك ، والمرء مع من أحبّ.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : إنّ المتحابّين في الله يوم القيامة على منابر من نور ، قد أضاء نور أجسادهم ونور منابرهم كلّ شيء ،

حتّى يعرفوا به فيقال : هؤلاء المتحابّون في الله.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول : إنّ لله خلقاً عن يمين العرش بين يدي الله وعن يمين الله ، وجوههم أبيض من الثلج ، وأضوء من الشمس الضاحية ، يسأل السائل : ما هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء الذين تحابّوا في جلال الله.

عن الإمام الجواد (عليه السلام) : أوحى الله إلى بعض الأنبياء : أمّا زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة ، وأمّا انقطاعك إليَّ فيعزّزك بي ، ولكن هل عاديت لي عدوّاً أو واليت لي وليّاً.

إنّ الله تعالى قال لموسى (عليه السلام) : هل عملت لي عملا ؟ قال : صلّيت لك وصمت وتصدّقت وذكرت لك ، قال الله تبارك وتعالى : أمّا الصلاة فلك برهان ، والصوم جُنّة ، والصدقة ظلّ ، والذكر نور ، فأيّ عمل عملت لي ؟ قال موسى (عليه السلام) : دلّني على العمل الذي هو لك . قال : يا موسى ، هل واليت لي وليّاً ، وهل عاديت لي عدوّاً قطّ ؟ فعلم موسى أنّ أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان ، ألا ومن أحبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله ، فهو من أصفياء الله.

وقال لبعض أصحابه : يا عبد الله ، أحبّ في الله وأبغض في الله ، والِ في الله ، فإنّه لا ينال ولاية الله إلاّ بذلك ، ولا يجد الرجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه ، حتّى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا ، عليها يتوادّون وعليها يتباغضون.

وقل الإمام الصادق (عليه السلام) : كلّ من لم يحبّ على الدين ولم يبغض على الدين ، فلا دين له.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : المحبّة لله أقرب نسب ، المحبّة في الله آكد من وشيج الرحم.

قال رجلٌ لعليّ بن الحسين (عليهما السلام) : إنّي لأُحبّك في الله حبّاً شديداً ، فنكس (عليه السلام) رأسه ، ثمّ قال : اللّهم إنّي أعوذ بك أن اُحبّ فيك وأنت لي مبغض ، ثمّ قال له : اُحبّك للذي تحبّني فيه.

في مكتوب للإمام الرضا (عليه السلام) : كن محبّاً لآل محمّد (عليهم السلام) وإن كنت فاسقاً ، ومحبّاً لمحبّيهم وإن كانوا فاسقين.

[١]سفينة البحار ٢ : ١١.

[٢]سفينة البحار ٢ : ١٢ ، عن البحار ٦٩ : ٢٤٣.

[٣]الحجرات : ٧.

١٣ ـ باب (حبّ النبيّ المصطفى وأهل بيته الأطهار)[١]

ومن مظاهر حبّ الله حبّ حبيبه النبيّ الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله) وعترته الطاهرين وذرّيته الأبرار.

فعنه (صلى الله عليه وآله) : لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

لا يؤمن أحدكم حتّي أكون أحبّ إليه من نفسه وأهلي أحبّ إليه من أهله ، وعترتي أحبّ إليه من عترته ، وذرّيتي أحبّ إليه من ذرّيته.

أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمة ، وأحبّوني لحبّ الله عزّ وجلّ ، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : من أحبّنا أهل البيت فليحمد الله على أوّل النِّعَم . قيل : وما أوّل النعم ؟ قال : طيب الولادة ، ولا يحبّنا إلاّ من طابت ولادته.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : حبي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنّ عظيمة : عند الوفاة ، وفي القبر ، وعند النشور ، وعند الكتاب ، وعند الحساب ، وعند الميزان ، وعند الصراط.

وقال : من لم يحبّ عترتي فهو لإحدى ثلاث : إمّا منافق ، وإمّا لزنية ، وإمّا امرئ حملت به أُمّه في غير طهر.

وقال : الأئمة من ولد الحسين هم العروة الوثقى ، وهم الوسيلة إلى الله تعالى.

وقال : من أحبّ أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين ، فليوالِ عليّاً بعدي وليعادِ عدوّه وليأتمّ بالأئمة الهداة من ولده.

عن حارث الأعور قال : أتيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات يوم نصف النهار ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت : حبّك والله . قال (عليه السلام) : إن كنت صادقاً لتراني في ثلاث مواطن : حيث تبلغ نفسك هذه ـ وأومأ بيده إلى حنجرته ـ وعند الصراط ، وعند الحوض.

عن أُصبغ بن نباتة ، قال : كنت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) فأتاه رجلٌ فسلّم عليه ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّي والله لأُحبّك في الله وأُحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية وأُدين بولايتك في السرّ كما أُدين بها في العلانية ـ وبيد أمير المؤمنين عود ـ فطأطأ رأسه ثمّ نكث بالعود ساعة في الأرض ثمّ رفع رأسه إليه فقال : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حدّثني بألف حديث ، لكلّ حديث ألف باب ، وإنّ

أرواح المؤمنين تلتقي فتشمّ وتتعارف ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، وبحقّ الله لقد كذبت ، فما أعرف في الوجوه وجهك ، ولا اسمك في الأسماء.

ثمّ دخل عليه رجل آخر فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي لأُحبّك في الله وأُحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية . فقال : فنكت الثانية بعوده في الأرض ، ثمّ رفع رأسه إليه فقال له : صدقت ، إذهب فاتّخذ للفقر جلباباً ، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول : يا عليّ بن أبي طالب ، الفقر أسرع إلى محبّينا من السيل إلى بطن الوادي.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) في صفة محبّيهم : ... وطبقة يحبّونا في السرّ والعلانية ، هم النمط الأعلى ، شربوا من العذب الفرات ، وعلموا بأوائل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الأسباب ، فهم النمط الأعلى ، الفقر وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل ، مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا وفتنوا ، فمن بين مجروح ومذبوح متفرّقين في كلّ بلاد قاصية.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر الجعفي الصحابي الجليل : يا جابر ، بلّغ شيعتي عنّي السلام وأعلمهم أ نّه لا قرابة بيننا وبين الله عزّ وجلّ ، ولا يتقرّب إليه إلاّ بالطاعة.

يا جابر ، من أطاع الله وأحبّنا فهو وليّنا ، ومن عصى الله لم ينفعه حبّنا.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : أنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعي عترتي على الحوض ، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعملنا.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من رزقه الله حبّ الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة فلا يشكّن أ نّه في الجنّة ، وإنّ في حبّ أهل بيتي عشرين خصلة ، عشرٌ منها في الدنيا ، وعشرٌ في الإخرة ، أمّا في الدنيا فالزهد والحرص على العلم والعمل ، والورع في الدين ، والرغبة في العبادة ، والتوبة قبل الموت ، والنشأة في قيام الليل ، واليأس ممّا في أيدي الناس ، والحفظ لأمر الله ونهيه عزّ وجلّ ، والتاسعة بغض الدنيا ، والعاشرة السخاء . وأمّا في الآخرة : فلا ينشر له ديوان ، ولا ينصب له ميزان ، ويعطى كتابه بيمينه ، ويكتب له برائة من النار ، ويبيّض وجهه ، ويكسى من حلل الجنّة ، ويشفع في مئة من أهل بيته ، وينظر الله عزّ وجلّ إليه بالرحمة ، ويتوّج من تيجان الجنّة ، والعاشرة يدخل الجنّة بغير حساب ، فطوبى لمحبّي أهل بيته[٢].

الكافي : عن الحكم بن عتيبة ، قال : بينا أنا مع أبي جعفر (عليه السلام) والبيت غاصّ بأهله ، إذ أقبل شيخ يتوكّأ على عنزة له ، حتّى وقف على باب البيت فقال : السلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته ، ثمّ سكت . فقال أبو جعفر (عليه السلام) : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثمّ أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت وقال : السلام عليكم ، ثمّ سكت ، حتّى أجابه القوم جميعاً ،

وردّوا عليه السلام ، ثمّ أقبل بوجهه على أبي جعفر (عليه السلام) ثمّ قال : يا بن رسول الله ، ادنني منك جعلني الله فداك ، فوالله إنّي لأُحبّكم ، وأُحبّ من يحبّكم ، ووالله ما أُحبّكم وأُحّب من يحبّكم لطمع في دنيا ، وإنّي لأُبغض عدوّكم وأبرأ منه ، ووالله ما أُبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه ، والله إنّي لأُحلّ حلالكم وأُحرّم حرامكم وأنتظر أمركم ، فهل ترجو لي جعلني الله فداك ؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : إليّ إليّ ، حتّى أقعده إلى جنبه ، ثمّ قال : أ يّها الشيخ ، إنّ أبي عليّ بن الحسين (عليه السلام) أتاه رجلٌ فسأله عن مثل الذي سألتني عنه ، فقال له أبي : إن تمت ترد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) وعلى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ويثلج قلبك ، ويبرد فؤادك وتقرّ عينك ، وتستقبل الروح والريحان مع الكرام الكاتبين ، لو قد بلغت نفسك ها هنا ، وأشار بيده إلى حلقه ، وإن تعش ، ترى ما يقرّ الله به عينك ، وتكون معنا في السنام الأعلى ...[٣].

قال أبو جعفر (عليه السلام) : إنّما يحبّنا من العرب والعجم أهل البيوتات وذو الشرف ، وكلّ مولود صحيح ، وإنّما يبغضنا من هؤلاء كلّ مدنّس مطرد[٤].

العلوي (عليه السلام) : لا يحبّنا مخنّث ولا ديّوث ولا ولد زنا ولا من حملته أُمّه في حيضها.

وقد وردت روايات كثيرة في أنّ حبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) علامة الإيمان ، وبغضه علامة النفاق[٥].

المناقب : معاوية بن عمّار عن الصادق (عليه السلام) : قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنّ حبّ عليّ (عليه السلام) قذف في قلوب المؤمنين ، فلا يحبّه إلاّ مؤمن ، ولا يبغضه إلاّ منافق ، وإنّ حبّ الحسن والحسين (عليهما السلام) قذف في قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين ، فلا ترى لهم ذامّاً.

تفسير الفرات : النبويّ (صلى الله عليه وآله) : والذي بعثني بالحقّ ، لحبّنا أهل البيت أعزّ من الجوهر ومن الياقوت الأحمر ومن الزمرّد.

مجالس المفيد : بإسناده عن ابن فضّال ، عن عاصم بن حميد ، عن الثمالي ، عن جيش بن المعتمر ، قال : دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو في الرحبة متّكئاً ، فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، كيف أصبحت ؟ قال : فرفع رأسه وردّ عليّ وقال (عليه السلام) : أصبحت محبّاً لمحبّينا ، ومبغضاً لمن يبغضنا ، إنّ محبّنا ينتظر الروح والفرج في كلّ يوم وليلة ، فإنّ مبغضنا بنى بناءً فأسّس بنيانه على شفا جرف هار فكان بنيانه هار ، فانهار به في نار جهنّم ، يا أبا المعتمر : إنّ محبّنا لا يستطيع أن يبغضنا ، قال : فمبغضنا لا يستطيع أن يحبّنا ، إنّ الله تبارك وتعالى جبل قلوب العباد على حبّنا ، وخذل من يبغضنا ، فلن يستطيع محبّنا بغضنا ، ولن يستطيع مبغضنا يحبّنا ، ولن يجتمع حبّنا وحبّ عدوّنا في قلب أحد ، ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، يحبّ بهذا قوماً ويحبّ بالآخر أعدائهم[٦].

قال النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) : ألا ومن أحبّ علياً فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد رضي الله عنه ، ومن رضي عنه كافأه الجنّة ، ألا ومن أحبّ علياً لا يخرج من الدنيا
حتّى يشرب من الكوثر ، ويأكل من طوبى ، ويرى مكانه في الجنّة ، ألا ومن أحبّ عليّاً فتحت له أبواب الجنّة الثمانية ، يدخلها من أيّ باب شاء بغير حساب[٧].

قال العلاّمة الحليّ في كتاب كشف الحقّ : وقال الرازي في تفسيره الكبير : روى الكلبي عن ابن عباس : قال : إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لمّا قدم المدينة ، كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة ، فقال الأنصار : إنّ هذا الرجل قد هداكم الله تعالى على يده ، وهو ابن أُختكم وجاركم في بلدكم ، فاجمعوا له طائفة من أموالكم ، ففعلوا ، ثمّ أتوه به فردّه عليهم ونزل قوله تعالى : (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبى) ، أي على الإيمان إلاّ أن تودّوا أقاربي ، فحثّهم على مودّة أقاربه ، ثمّ قال : نقل صاحب الكشّاف عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أ نّه قال : من مات على حبّ آل محمّد (صلى الله عليه وآله)مات شهيداً ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ، ثمّ منكر ونكير ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يُزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة[٨].

تفسير العياشي : عن بريد بن معاوية العجلي ، قال : كنت عند أبي جعفر (عليه السلام)
إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشياً ، فأخرج رجليه وقد تفلّقتا ، قال : أما والله ما جاء بي من حيث جئت إلاّ حبّكم أهل البيت ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : والله لو أحبّنا حجر حشره الله معنا ، وهل الدين إلاّ الحبّ[٩].

عن الإمام الرضا (عليه السلام) : لا تدعوا العمل الصالح والاجتهاد في العبادة اتّكالا على حبّ آل محمّد (عليهم السلام) ، لا تدعوا حبّ آل محمّد (صلى الله عليه وآله) والتسليم لأمرهم اتّكالا على العبادة ، فإنّه لا يقبل أحدهما دون الآخر[١٠].

وفي محبّة أهل البيت وأمير المؤمنين (عليهم السلام) أبواب كثيرة يذكرها العلاّمة المجلسي في موسوعته القيّمة بحار الأنوار ، كالأبواب التالية :

١ ـ باب وجوب طاعة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وحبّه والتفويض إليه (البحار ١٧ / ١)

٢ ـ فضل حبّ آل محمّد (٤٦ / ٣٦٣) (٢٢ / ١٤٣) (٢١ / ١٥٤)

(٣٢ / ١٠٨)

٣ ـ باب أنّ حبّهم علامة طيب الولادة وبغضهم علامة خبث الولادة

(٢٧ / ١٤٥) (٤٢ / ١٧)

٤ ـ باب حبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) علامة الإيمان ، وبغضه علامة النفاق

(طبعة قديمة ٨ / ١٥ / ١٨٢)

٥ ـ باب ما ينفع حبّهم فيه من المواطن (٢٧ / ١٥٧) (٣٨ / ٦٨)

(٤٦ / ٣٦٢)

٦ ـ باب فيه أ نّه يسئل عن حبّهم وولايتهم في يوم القيامة (٢٧ / ٣١١)

٧ ـ باب ما يحبّهم من الدوابّ والطيور (٢٧ / ٢٦١)

٨ ـ باب في أ نّه لا ينفع مع عداؤهم عمل صالح ، ولا يضرّ مع محبّتهم وولايتهم ذنب غير الكبائر (٢٨ / ٦١)

٩ ـ باب في أنّ محبّيهم ثلاث طبقات : من أحبّهم في العلانية ، ومن أحبّهم في السرّ ، ومن أحبّهم في السرّ والعلانية (٦٨ / ١٣١)

١٠ ـ باب فضل حبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) (٧ / ٢٢١) (٣٩ / ٢٧٧)

(٦٨ / ١٢٤) (٢٧ / ١١٤) (٢٣ / ٢٣٢)

١١ ـ باب ثواب حبّهم ونصرهم وولايتهم وأ نّها أمان من النار (٢٧ / ٧٣)

(٢٧ / ١١١) (٦٨ / ١٣٢)

١٢ ـ باب أنّ عليّاً (عليه السلام) كان أخصّ الناس برسول الله وأحبّهم إليه

(٣٨ / ٢٩٤)

١٣ ـ باب خبر الطير وأنّ عليّاً أحبّ الخلق إلى الله (٣٨ / ٣٤٨)

١٤ ـ باب قوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأتي اللهَ بِقَوْم يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) في عليّ (عليه السلام)

(٣٦ / ٣٢)

١٥ ـ باب في بيان أنّ جميع أنبياء الله ورسله وجميع الملائكة وجميع المؤمنين كانوا لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) محبّين (٣٩ / ١٩٤)

١٦ ـ باب أ نّه لو اجتمع الناس على حبّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ما خلق الله النار (٣٩ / ٢٤٦) (٤٢ / ٤٤)

وهناك أبواب كثيرة يقف عليها الباحث المحقّق ، وقد ذكرت ما يقرب من مئة باب ونيّف في كتاب (الأصل حبّنا أهل البيت (عليهم السلام)) ، فراجع.

---

[١]لقد كتبت الشيء الكثير عن حبّ الرسول (صلي الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) في (الأصل حبّنا أهل البيت (عليهم السلام)) ، و (هذه هي الولاية) ، فراجع.

[٢]المواعظ العددية : ٢٦٩.

[٣]سفينة البحار ٢ : ١٤.

[٤]بحار الأنوار ٢٧ : ١٤٩ ، باب أنّ حبّهم علامة طيب الولادة.

[٥]سفينة البحار ٢ : ١٦ ، عن البحار.

[٦]السفينة ٢ : ١٨ ، عن البحار ٦٨ : ٣٨.

[٧]المصدر ، عن البحار ٧ : ٢٢١.

[٨]السفينة ٢ : ٢٠ ، عن البحار ٢٣ : ٣٣٢.

[٩]المصدر ، عن البحار ٢٧ : ٩٥.

[١٠]المصدر ، عن البحار ٧٨ : ٣٤٧.

١٤ ـ باب (المرء مع من أحبّ)

وأخيراً يحشر الإنسان مع من أحبّ ، وهذه بشرى عظيمة للمتحابّين في الله ولله.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم :

(وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقينَ وَالشُّهَداءُ وَالصَّالِحين وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقاً)[١].

جاء رجل إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ، إنّك لأحبّ من نفسي وإنّك لأحبّ من ولدي ، وإنّي لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أ نّك إذا دخلت الجنّة رفعت مع النبيّين ، وإنّي إذا دخلت الجنّة خشيت أن لا أراك . فلم يزد عليه النبي (صلى الله عليه وآله) شيئاً حتّى نزل جبرئيل بهذه الآية :

(وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسولَ ...).

أتى رجلٌ النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ، رجلٌ يحبّ من يصلّي ولا يصلّي إلاّ الفريضة ، ويحبّ من يتصدّق ولا يتصدّق إلاّ بالواجب ، ويحبّ من يصوم ولا يصوم إلاّ شهر رمضان ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : المرء مع من أحبّ.

عن أنس قال : جاء رجل من أهل البادية ـ وكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية يسأل النبيّ (صلى الله عليه وآله) ـ فقال : يا رسول الله ، متى قيام الساعة ؟ فحضرت الصلاة ، فلمّا قضى صلاته قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال : أنا يا رسول الله ؟ قال : فما أعددت لها ؟ قال : والله ما أعددت لها من كثير عمل صلاة ولا صوم ، إلاّ أ نّي أحبّ الله ورسوله . فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله) : المرء مع من أحبّ . قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء أشدّ من فرحهم بهذا[٢].

زبدة المخاض :

المقصود من خلق السماوات والأرض والكون الرحب هو الإنسان ، والمقصود من الإنسان أن يكون خليفة الله في أرضه ، والخلافة بالمعرفة ، ويتولّد من المعرفة الحبّ والشوق والطاعة والقرب ، فالمقصود هو القرب إلى الله بالمعرفة والحبّ والطاعة.

يروى أنّ عيسى (عليه السلام) مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا : الخوف من النار . فقال : حقّ على الله أن يؤمن الخائف . ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة أخرى ، فإذا هم أشدّ نحولا وتغيّراً ، فقال : ما الذي بلغ بكم ما

أرى ؟ قالوا : الشوق إلى الجنّة . قال : حقّ على الله أن يعطيكم ما ترجون . ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة أُخرى ، فإذا هم أشدّ نحولا وتغيّراً كأنّ على وجوههم المرايا من النور ، فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : حبّ الله عزّ وجلّ . فقال : أنتم المقرّبون ، أنتم المقرّبون.

وقال عبد الواحد بن زيد : مررت برجل قائم في الثلج ، فقلت له : أما تجد البرد ؟ فقال : من شغله حبّ الله لم يجد البرد.

عن سري المسقطي أ نّه قال : تُدعى الأُمم يوم القيامة بأنبيائها ، فيقال : يا أُمّة موسى ، ويا أُمّة عيسى ، ويا أُمّة محمّد ، غير المحبّين لله تعالى فإنّهم ينادون : يا أولياء الله ، هلمّوا إلى الله سبحانه وتعالى ، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً.

وقال هرم بن حيّان : المؤمن إذا عرف ربّه عزّ وجلّ أحبّه ، وإذا أحبّه أقبل إليه ، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه ، لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ، ولم ينظر إلى الآخرة بعين الرغبة ، وهو بجسده في الدنيا وروحه في الآخرة.

وقال يحيى بن معاذ : عفوه يستغرق الذنوب ، فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبّه ؟ وحبّه يدهش العقول فكيف ودّه ؟ وودّه ينسي ما دونه فكيف لطفه.

وفي بعض الكتب : عبدي أنا وحقّك لك محبّ ، فبحقّي عليك كن لي محبّاً.

وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحبّ أحبّ لله من عبادة سبعين سنة بلا حبّ.

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : « حبّ الله نار لا تمرّ على شيء إلاّ احترق ، ونور الله لا يطّلع على شيء إلاّ أضاء ، وسماء الله ما ظهر من تحته من شيء إلاّ غطّاه ، وريح الله ما تهبّ في شيء إلاّ حرّكته ، وماء الله يحيى به كلّ شيء ، وأرض الله ينبت منها كلّ شيء ، فمن أحبّ الله أعطاه كلّ شيء من الملك والملك ».

قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : « إذا أحبّ الله عبداً من أُمّتي قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكّان عرشه محبّته ليحبّوه ، فذلك المحبّ حقّاً ، طوبى له ثمّ طوبى له ، وله عند الله شفاعة يوم القيامة ».

قيل : وقد ورد في حبّ الله من الأخبار والآثار ما لا يدخل حصر حاصر ، وذلك أمر ظاهر[٣].

فالمستحقّ للمحبّة الخالصة والتامّة هو الله سبحانه وحده ، وأمّا محبوب الله كالأنبياء والأولياء وما هو محبوب لله ، فهو عين حبّ الله ، فإنّ محبوب المحبوب محبوب ، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلاّ الله سبحانه ، ولا مستحقّ للمودّة والشوق سواه ، بأيّ سبب من الأسباب التي ذكرناها.

فكلّ ما سوى الله قائم به ، ومن عرف نفسه عرف ربّه ، ومن أحبّ نفسه أحبّ ربّه ، فهو منبع الإحسان والخير ، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ، فهو المحسن حقيقة ، وما سواه فهو بالمجاز ، وهو الجميل والجمال المطلق ومطلق الجمال والجميل ، وإنّ العبد يتخلّق بأخلاق الله عزّ وجلّ باكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الله سبحانه من العلم والبرّ والإحسان والرحمة وغير ذلك من مكارم الشريعة ، فصار خليفة الله في الأرض ، ولا يزال يتقرّب العبد بالنوافل حتّى يحبّه الله فيكون سمعه وبصره ويده ولسانه ، فالمعقول المقبول هو حبّ الله تعالى فقط ، وما كان في خطّ الله فهو منه.

فعلى العبد المحبّ أن يشتغل بربّه ، ومن كان مشغولا اليوم بربّه ، فهو غداً مشغولا به.

قيل لرابعة : ما حقيقة إيمانكِ ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا رجاءً لجنّته ، فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبّاً له وشوقاً إليه ، وقالت في معنى المحبّة نظماً :

أحبّك حبّين : حبّ الهوى *** وحبّاً لأ نّك أهل لذاكا

فأمّا الذي هو حبّ الهوى *** فشغلي بذكرك عمّن سواكا

وأمّا الذي أنت أهلٌ له *** فكشفك لي الحجب حتّى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي *** ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلّها أرادت بحبّ الهوى حبّ الله تعالى لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة ، وبحبّها لما هو أهل له الحبّ لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبّين ، وأقواهما ، ولذّة مطالعة جمال الربوبيّة هي التي عبّر عنها (صلى الله عليه وآله) : حيث قال ـ حاكياً عن الله تعالى ـ : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، وقد يتعجّل بعض هذه اللذات لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ... فمقصد العارفين كلّهم وصله ولقاؤه ، فهي قرّة العين التي لا تعلم نفس ما أُخفي لها منها ، وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلّها ، فصار القلب مستغرقاً بنعيمها ، فلو اُلقي في النار لم يحسّ بها لاستغراقه ، ولو عرض عليه نعيم الجنّة لم يلتفت إليه ، لكمال نعيمه ، وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية.

وليت شعري من لا يفهم إلاّ حبّ المحسوسات كيف يؤمن بلذّة النظر إلى وجه الله تعالى ، وما له شبه وصورة وشكل ، وأيّ معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره أ نّه أعظم النعم ، بل من عرف الله عرف أنّ اللذّات المقرونة بالشهوات المختلفة كلّها تنطوي تحت هذه اللذّة ، كما قال بعضهم :

كانت لقلبي أهواءٌ مفرّقةٌ *** فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده *** فصرت مولى الورى مذ صرت

مولائي

تركت للناس دنياهم ودينهم *** شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

ولذلك قال بعضهم : وهجره أعظم من ناره ، ووصله أطيب من جنّته . وما أرادوا بهذا إلاّ إيثار لذّة القلب في معرفة الله تعالى على لذّة الأكل والشرب والنكاح ، فإنّ الجنّة معدن تمتّع الحواسّ ، فأمّا القلب فلذّته في لقاء الله عزّ وجلّ فقط ، ومثال أطوار الخلق في لذّاتهم ، ما نذكره وهو أنّ الصبيّ في أوّل حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذّ اللعب واللهو حتّى يكون ذلك عنده ألذّ من سائر الأشياء ، ثمّ تظهر بعده لذّة الزينة ولبس الثياب وركوب الدوابّ ، فيستحقر معها لذّة اللعب ، ثمّ تظهر بعده لذّة الوقاع وشهوة النساء ، فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ، ثمّ تظهر بعده لذّة الرئاسة والعلوّ والتكاثر وهي أحبّ لذّات الدنيا وأغلبها وأقواها ، كما قال سبحانه :

(اعْلَموا أ نَّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزينَةٌ وَتَفاخُرٌ)[٤].

ثمّ بعد هذا تظهر غريزة أُخرى يدرك بها لذّة معرفة الله تعالى ، ومعرفة أفعاله ، فيستحقر معها جميع ما قبلها ، وكلّ متأخّر فهو أقوى ، وهذا هو الأخير ، إذ يظهر حبّ اللعب في سنّ الصبيّ ، وحبّ الزينة في سنّ التمييز ، وحبّ النساء في سنّ البلوغ ، وحبّ الرئاسة بعد العشرين ، وحبّ العلوم بقرب الأربعين ، وهي الغاية العليا ، وكما أنّ الصبيّ يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرئاسة ، فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى ، والعارفون يقولون :

(إنْ تَسْخَروامِنَّا فَإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرونَ فَسَوْفَ تَعْلَمونَ)[٥].

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أشدّهم حبّاً لله سبحانه ، وكلّما ازداد الحبّ ازدادت اللذّة ، وإنّما يكتسب العبد أصل الحبّ من الدنيا فهي مزرعة الآخرة ومتجر أولياء الله ، وإنّما يحصل بالمعرفة ، وهي بقطع العلائق الدنيوية وإخراج حبّ غير الله من القلب ، فإنّ القلب كالإناء لا يتّسع للماء ما دام الهواء :

(وَما جَعَلَ اللهُ لِرَجُل مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ).

وكمال الحبّ أن يحبّ الله جلّ جلاله بكلّ قلبه ، وما دام يلتفت إلى غيره فزاويته من قلبه مشغولة بغيره ، وبقدر ما يشتغل بغير الله ينقض منه حبّ الله . وإلى هذا التجريد والتوحيد الإشارة بقوله تعالى :

(قُلْ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ)[٦].

وبقوله :

(إنَّ الَّذينَ قالوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقاموا)[٧].

بل هو معنى وروح قولك كلمة التوحيد التي توجب الفلاح (لا إله إلاّ الله) أي لا معبود ولا محبوب سواه.

وكلّ محبوب فإنّه معبود ، فإنّ العبد هو المتعبّد ، والمعبود هو المتعبّد له ، وكلّ محبّ فهو يعبد لما يحبّه ، ولذلك قال تعالى :

(أفَرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلـهَهُ هَواهُ)[٨].

وقال (عليه السلام) : أبغض إله عُبد في الأرض الهوى . ولذلك قال (عليه السلام) : « من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنّة » ، ومعنى الإخلاص أن يخلّص قلبه لله عزّ وجلّ فلا يبقى فيه شركة لغير الله ، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه ، فإنّها تمنعه عن مشاهدة محبوبه ، وموته خلاصه من السجن وقدومه على المحبوب ، فمن أسباب ضعف حبّ الله في القلوب حبّ الدنيا ، ومنه حبّ الأهل والمال والولد والأقارب والعقارات والبساتين والسيارات والمتنزّهات ، وحتّى الالتذاذ بروح نسيم الأسحار ، فبمقدار ما يأنس بالدنيا يحرم من اُنسه بالله سبحانه ، والدنيا والآخرة ضرّتان ، كالمشرق والمغرب ، فمن قرب من أحدهما ابتعد عن الآخر.

وفي أخبار داود النبيّ أنّ الله تعالى أوحى إليه : يا داود ، إنّك تزعم أ نّك تحبّني ، فإن كنت تحبّني فأخرج حبّ الدنيا عن قلبك ، فإنّ حبّي وحبّها لا يجتمعان في قلب ،... ضعني بين عينيك وانظر إليّ ببصر قلبك ، ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عنّي فامزجوها وسمحت بانقطاع ثوابي عنها[٩].

فلا بدّ من تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها ، حتّى تستولي محبّة الله على القلب ، ولا يكون ذلك إلاّ بالمعرفة والعلم فهو الأوّل وهو الآخر ، ولا يكون ذلك إلاّ بالفكر الصافي والتفكّر الدائم في آيات الآفاق والأنفس حتّى يتبيّن لهم الحقّ :

(أوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أ نَّهُ عَلى كُلِّ شَيْء شَهيد)[١٠].

(سَنُرِيَهُمْ آياتِنا في الآفاقِ وَفي أنْفُسِهِمْ)[١١].

(أوَ لَمْ يَنْظُروا في مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالأرْضِ)[١٢].

(قُلْ انْظُروا ماذا في السَّماواتِ وَالأرْضِ)[١٣].

فمن الناس الأوحد يعرف الحقّ بالحقّ ، كما يعرف الخلق بالحقّ ، ومنهم من يعرف الحقّ بالخلق ، والناس مشتركون في أصل المحبّة لاشتراكهم في أصل الإيمان ، ولكنّهم يتفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حبّ الدنيا ، وتفاوت أهل المعرفة في الحبّ لا حصر له ، وكلّ العالم هو تصنيف الله تعالى ، يدلّ على قدرته وعلمه وحياته وجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

فمن نظر إليه من حيث أ نّه فعل الله ، وعرفه من حيث أ نّه فعل الله

، وأحبّه من حيث أ نّه فعل الله ، لم يكن ناظراً إلاّ في الله ، ولا عارفاً إلاّ بالله ، ولا محبّاً إلاّ لله ، فكان هو الموحّد الحقّ الذي لا يرى إلاّ الله ، فلا يرى الأشياء إلاّ ويرى الله قبلها ومعها وبعدها ، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه ، بل من حيث إنّه عبد الله ، فهذا هو الذي يقال فيه : أ نّه فنى في التوحيد ، وأ نّه فنى في نفسه ، وإليه الإشارة بقول من قال : كنّا بنا ، ففينا عنّا ، فبقينا بلا نحن ، فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر[١٤].

وختاماً : هلمّ معي لنحلّق في سماء الحبّ الإلهي وعشق الله سبحانه في صحيفة إمام المحبّين وزين العابدين وسيّد الساجدين الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) في مناجاة المحبّين والمريدين من المناجاة الخمسة عشر المعروفة :

---

[١]النساء : ٦٩.

[٢]نقلت روايات هذه الرسالة من كتاب ميزان الحكمة ٢ : ٢١١ ـ ٢٤٣ ، ينقلها عن بحار الأنوار الأجزاء ٥ ، ١٦ ـ ١٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧٣ ـ ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ و ٩٨ ، ومن كتاب كنز العمّال ومستدرك الوسائل وغرر الحكم وغيرها ، فراجع.

[٣]المحجّة البيضاء ٨ : ٧ ـ ٨ .

[٤]المحجّة البيضاء ٨ : ٣٢ ـ ٣٤ . والآية في سورة الحديد : ٢٠.

[٥]هود : ٣٨.

[٦]الأنعام : ٩١.

[٧]فصّلت : ٣٠.

[٨]الجاثية : ٢٢.

[٩]المحجّة ٨ : ٦١.

[١٠]فصّلت : ٥٣.

[١١]فصّلت : ٥٢.

[١٢]الأعراف : ١٨٤.

[١٣]يونس : ١٠١.

[١٤]المحجّة ٨ : ٥٤.

المناجاة الثامنة ـ مناجاة المريدين

سُبْحانَكَ ما أضْيَقَ الطُّرُقُ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَليلَهُ ، وَما أوْضَحَ الحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبيلَهُ ، إلـهي فَاسْلُكْ بِنا سُبُلَ الوصولِ إلَيْكَ ، وَسَيِّرْنا في أقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفودِ عَلَيْكَ ، قَرِّبْ عَلَيْنا البَعيدَ ، وَسَهِّلْ عَلَيْنا العَسيرَ الشَّديدَ ، وَألْحِقْنا بِعِبادِكَ الَّذين هُمْ بِالبِدارِ إلَيْكَ يُسارِعونَ وَبابَكَ عَلى الدَّوامِ يَطْرُقونَ ، وَإيَّاكَ في اللَّيْلِ وَالنَّهارِ يَعْبُدونَ ، وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقونَ ، الَّذين صَفَّيْتَ لَهُمُ المَشارِبَ وَبَلَّغْتَهُمِ الرَّغائِبَ ، وَأنْجَحْتَ لَهُمُ المَطالِبَ ، وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ المَآرِبَ وَمَلأتَ لَهُمْ ضَمائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ ، وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صافي شِرْبِكَ ، فَبِكَ إلى لَذيذِ مُناجاتِكَ وَصَلُوا وَمِنْكَ أقْصى مَقاصِدِهِمْ حَصَّلُوا ، فَيا مَنْ هُوَ عَلى المُقْبِلين عَلَيْهِ مُقْبِلٌ ، وَبِالعَطْفِ عَلَيْهِمْ عائِدٌ مُفْضِلٌ ، وَبِالغافِلين عَنْ ذِكْرِهِ رَحيمٌ رَؤوفٌ ، وَبِجَذْبِهِمْ إلى بابِهِ وَدودٌ عَطوفٌ ، أسْألُكَ أنْ تَجْعَلَني مِنْ أوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظاً ، وَأعْلاهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلا ، وَأجْزَلِهِمْ مِنْ وُدِّكَ قِسْماً ، وَأفْضَلِهِمْ في مَعْرِفَتِكَ نَصيباً ، فَقَدْ انْقَطَعَتْ إلَيْكَ هِمَّتي ، وَانْصَرَفَتْ نَحْوَكَ رَغْبَتي ، فَأنْتَ لا غَيْرَكَ مُرادي ، وَلَكَ لا لِسِواكَ سَهَري وَسُهادي ، وَلِقاؤُكَ قُرَّةَ عَيْني ، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسي ، وَإلَيْكَ شَوْقي ، وَفي مَحَبَّتِكَ وَلَهي ، وَإلى هَواكَ صَبابَتي ، وَرِضاكَ بُغْيَتي ، وَرُؤيَتُكَ حاجَتي ، وَجِوارُكَ طَلَبي ، وَقُرْبُكَ غايَةُ سُؤْلي ، وَفي مُناجاتِكَ رَوْحي وَراحَتي ، وَعِنْدَكَ دَواءُ عَلَّتي ، وَشِفاءُ غُلَّتي ، وَبَرْدُ لَوْعَتي ، وَكَشْفُ كُرْبَتي ، فَكُنْ أنيسي في وَحْشَتي ، وَمُقيلَ عَثْرَتي ، وَغافِرَ زَلَّتي ، وَقابِلَ تَوْبَتي ، وَمُجيبَ دَعْوَتي ، وَوَلِيَّ عِصْمَتي ، وَمُغْنِيَ فاقَتي ، وَلا تَقْطَعْني عَنْكَ ، وَلا تُبْعِدْني مِنْكَ ، يا نَعيمي وَجَنَّتي ، وَيا دُنْيايَ وَآخِرَتي.

المناجاة التاسعة ـ مناجاة المحبّين

إلـهي مَنْ ذا الَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنْكَ بَدَلا ، وَمَنْ ذا الَّذي أنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغى عَنْكَ حِوَلا ، إلـهي فَاجْعَلْنا مِمَّنْ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وولايَتِكَ وَأخْلَصْتَهُ لِوُدِّكَ ومحَبَّتِكَ ، وَشَوَّقْتَهُ إلى لِقائِكَ ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضائِكَ ، وَمَنَحْتَهُ بِالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ ، وَحَبَوْتَهُ بِرِضاكَ ، وَأعَذْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ وَقَلاكَ ، وَبَوَّأتَهُ مَقْعَدَ الصِّدْقِ في جِوارِكَ ، وَخَصَصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأهَّلْتَهُ لِعِبادَتِكَ ، وَهَيَّمْتَ قَلْبَهُ لإرادَتِكَ ، وَاجْتَبَيْتَهُ لِمُشاهَدَتِكَ ، وَأخْلَيْتَ وجْهَهُ لَكَ ، وَفَرَّغْتَ فُؤادَهُ لِحُبِّكَ ، وَرَغَّبْتَهُ فيما عِنْدَكَ ، وَألْهَمْتَهُ ذِكْرَكَ ، وَأوْزَعْتَهُ شُكْرَكَ ، وَشَغَلْتَهُ بِطاعَتِكَ ، وَسَيَّرْتَهُ مِنْ صالِحي بَرِيَّتِكَ ، وَاخْتَرْتَهُ لِمُناجاتِكَ ، وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْء يَقْطَعُهُ عَنْكَ ، اللّهمَّ اجْعَلْنا مِنَّنْ دَأبُهُمُ الارْتِياحُ إلَيْكَ وَالحَنينَ ، وَدَهْرُهُمُ الزَّفْرَةُ وَالأنينُ ، جِباهُهُمْ ساجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ ، وَعُيُونُهُمْ ساهِرَةٌ في خِدْمَتِكَ ، وَدُمُوعُهُمْ سائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ ، وَقُلوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ ، وَأفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهابَتِكَ ، يا مَنْ أنْوارُ قُدْسِهِ لأبْصارِ مُحِبِّيهِ رائِقَةٌ ، وَسُبُحاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عارِفيهِ شائِقَةٌ ، يا مُنى قُلُوبِ المُشْتاقينَ ، وَيا غايَةَ آمالِ المُحِبِّين ، أسْألُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يوصِلُني إلى قُرْبِكَ ، وَأنْ تَجْعَلَكَ أحَبَّ إلَيَّ مِمَّا سِواكَ ، وَأنْ تَجْعَلَ حُبِّي إيَّاكَ قائِداً إلى رِضْوانِكَ ، وَشَوْقي إلَيْكَ ذائِداً عَنْ عِصْيانِكَ ، وَالأنْسِ بِالنَّظَرِ إلَيْكَ عَلَيَّ ، وَانْظُرْ بِعَيْنِ الوُدِّ وَالعَطْفِ إلَيَّ ، وَلا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ ، وَاجْعَلْني مِنْ أهْلِ الأسْعادِ وَالحَظْوَةِ عِنْدَكَ ، يا مُجيبُ ، يا أرْحَمُ الرَّاحمين.

لقطات ونماذج من الحبّ والعشق الإلهي

يجفّ القلم ويكلّ اللسان لو أراد أن يرسم للقرّاء الكرام شخصيات المحبّين في الله ولله سبحانه ، والمتفانون في هواه وعشقه ، وأكمل خلق الله في حبّه وأتمّهم هو الرسول المختار وعترته الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، فحياتهم المقدّسة وأرواحهم الزكيّة النورانيّة كلّها في محبّة الله وولهه ، فهم سادة المحبّين وعشّاق الله جلّ جلاله.

ومن أُولئك الأطياب الأخيار الأبرار سيّد الشهداء مولانا الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ، فثورته الخالدة ـ فصل من حياته ـ آيات في الحبّ الإلهي الحقيقي وبراهين ساطعة في عشق الله سبحانه وتعالى.

يخبرنا عن ذلك ما ورد عن مولانا أبي جعفر الإمام الباقر (عليه السلام) ، عن أبيه الإمام السجّاد علي بن الحسين (عليه السلام) ، قال : مرّ عليّ (عليه السلام) بكربلاء فقال لمّا مرّ به الصحابة وقد اغرورقت عيناه يبكي ويقول : هذا مناخ ركابهم ... إلى أن قال (عليه السلام) : حتّى طاف بمكان يقال له المقدّمات فقال : قُتل فيها مائتا نبيّ ومائتا سبط كلّهم شهداء ومناخ ركاب ومصارع عشّاق ، شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم[١].

فكربلاء المقدّسة رمز الثورة الخالدة ، رمز البطولة والتضحية والشهادة ،
ومناخ ركاب العاشقين ، ومصارع عشّاق الله ومحبّيه والمتفانين في صفاته وأسمائه الحسنى ، والمستشهدين من أجل دينه القويم الإسلام العظيم.

وستبقى كربلاء العشق مناراً لعشّاق أهل البيت (عليهم السلام) وشعلة وهّاجة في دروب الأحرار والمجاهدين الثوّار ، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم . وستبقى كربلاء المعلّى قرآن المحبّين ، ويبقى عاشوراء الحسين باب الهدى وطريق سفينة النجاة ، وتبقى ملحمة الطفّ نبراس الحبّ الإلهي الذي يتجلّى في حبّ رسول الله وأهل بيته عترته الطاهرين وسبطه سيّد الشهداء الإمام الحسين ابن علي (عليه السلام).

عابس الشاكري آية من آيات الحبّ :

ومن اللقطات الجميلة التي تُعدّ آية من آيات الحبّ الحسيني قتال الشهيد البطل عابس بن شبيب الشاكري (رضوان الله تعالى عليه) ، حتّى أصبحت مقولته المشهورة « حبّ الحسين أجنّني » رمزاً لعشّاق أهل البيت (عليهم السلام) ومن يتفانى في حبّ الحسين (عليه السلام) ويبذل النفس والنفيس في هواه وعشقه.

يذكر أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكّي أخطب خوارزم المتوفّى سنة ٥٦٨ هـ[٢] :

« وجاء عابس بن شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر ، فقال : يا شوذب ، ما في نفسك أن تصنع ؟ قال : وما أصنع ! أُقاتل حتّى أُقتل . فقال له : ذلك الظنّ بك ، فتقدّم بين يدي أبي عبد الله ، أحتسبك ويحتسبك كما احتسب غيرك ، فإنّ هذا اليوم ينبغي لنا أن نطلب فيه الأجر بكلّ ما قدرنا عليه ، فإنّه لا عمل بعد اليوم ، وإنّما هو الحساب.

ثمّ تقدّم فسلّم على الحسين ، وقال له : يا أبا عبد الله ، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليَّ منك ، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت ـ اُنظر أ يّها القارئ الكريم ما أروع منطق العشّاق ، فإنّ العاشق يكون موحّداً لا يرى إلاّ معشوقه ، وبمثل هذه الروح الخالصة والقلب الواله والفؤاد العاشق يخاطب عابس سيّده وحبيب قلبه قائلا : (أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحبّ إليِّ منك) ثمّ يصدّق قوله ببذل نفسه ودمه الذي هو أعزّ شيء عنده ، وهذا منطق عشّاق الحسين (عليه السلام) ، وكفاهم بهذا شرفاً وكرامة وعزّة ، ثمّ قال عابس : ـ السلام عليك يا أبا عبد الله ، أشهد أ نّي على هداك وهدى أبيك . ثمّ مشى بالسيف نحوهم.

قال ربيع بن تميم : فلمّا رأيته مقبلا عرفته ـ وقد كنت شاهدته في المغازي ـ فكان أشجع الناس فقلت للقوم : أ يّها الناس ! هذا أسد الأسود ، هذا ابن شبيب ، لا يخرجنّ إليه أحدٌ منكم ، فأخذ ينادي : ألا رجل ! ألا رجل ! فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة ، فرمي بالحجارة من كلّ جانب ، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ، ثمّ شدّ على الناس ـ ويقال هنا ناداه القوم : أجننت يا عابس ، فقال : إي والله أجنّني حبّ الحسين ـ فوالله لقد رأيته يطرد أكثر من مئتين من الناس ، ثمّ تعطّفوا عليه من كلّ جانب فقتل ـ رضوان الله تعالى عليه ـ فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة ، هذا والله لم يقتله إنسان واحد ، ففرق بينهم بهذا القول ».

وليس هذا حال عابس وحسب ، بل كلّ أصحاب الحسين وأهل بيته كان هذا منطقهم كما يحدّثنا بذلك العلاّمة السيّد عبد الرزّاق الموسوي المقرّم[٣] في حديث ليلة عاشوراء :

« ثمّ دخل الحسين خيمة زينب ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره ، فسمع زينب تقول له : هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم ، فإنّي أخشى أن يسلموك عند الوثبة.

فقال لها : والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلاّ الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنيّة دوني ، استيناس الطفل إلى محالب اُمّه.

قال نافع : فلمّا سمعت هذا منه بكيت ، وأتيت حبيب بن مظاهر ، وحكيت ما سمعت منه ومن اُخته زينب.

قال حبيب : والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة . قلت : إنّي خلّفته عند أُخته ، وأظنّ النساء أفقن وشاركنها في الحسرة ، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهنّ بكلام يطيّب قلوبهنّ . فقام حبيب ونادى : يا أصحاب الحميّة وليوث الكريهة . فتطالعوا من مضاربهم كالأُسود الضارية ، فقال لبني هاشم : ارجعوا إلى مقرّكم لا سهرت عيونكم.

ثمّ التفت إلى أصحابه وحكى ما شاهده وسمعه نافع ، فقالوا بأجمعهم : والله الذي منّ علينا بهذا الموقف ، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة ! فطب نفساً وقرّ عيناً . فجزّاهم خيراً ، وقال : هلمّوا معي لنواجه النسوة ونطيّب خاطرهنّ . فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح : يا معشر حرائر رسول الله ، هذه صوارم فتيانكم ، آلوا ألاّ يغمدوها إلاّ في صدور من يفرّق ناديكم.

فخرجن النساء إليهنّ ببكاء وعويل ، وقلن : أ يّها الطيّبون ، حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين . فضجّ القوم بالبكاء حتّى كأنّ الأرض تميد بهم.

وفي يوم عاشوراء عندما خطب زهير بن القين ونصح قوم عمر بن سعد ، فرماه الشمر بسهم وقال : اسكت أسكت الله نامتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك . فقال زهير : يا ابن البوّال على عقبيه ، ما إيّاك أُخاطب ، إنّما أنت بهيمة ، والله ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال شمر : إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة . فقال زهير : أفبالموت تخوّفني ؟ فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم ...[٤].

وحينما صرع مسلم بن عوسجة مشى إليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر ، فقال له الحسين : رحمك الله يا مسلم ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا . ودنا منه حبيب وقال : عزّ عليَّ مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنّة . فقال بصوت ضعيف : بشّرك الله بخير . قال حبيب : لو لم أعلم أ نّي في الأثر لأحببت أن توصي إليَّ بما أهمّك . فقال مسلم : أُوصيك بهذا ـ وأشار إلى الحسين ـ أن تموت دونه . قال : أفعل وربّ الكعبة . وفاضت روحه بينهما ...[٥].

وهكذا يفعل العشق والحبّ بأهله ، فلو طالعنا ثورة الحسين ثورة العشّاق والمحبّين لاتّضح لنا ما كان عليه أُولئك الأبرار الأخيار من الثبات والتضحية والفداء ، وأ نّهم غير مكترثين بما لاقوه من ألم الجراح والرماح والسيوف والسهام ، ولعاً منهم بالغاية ، وحبّاً لهم بمولانا الحسين ودينه ، وشوقاً إلى جوار جدّه المصطفى ، وعشقاً لحضورهم بين يدي الله ، في مقعد صدق في الحضيرة القدسيّة ، ويا لها من سعادة لا توصف.

« ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العشق وأ نّه عند توجّه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بما يلاقيه من عناء وكبد . ولقد حكى المؤرّخون أنّ كُثيراً الشاعر كان في خبائه يبري سهاماً له ، فلمّا دخلت عليه عزّة (معشوقته) ونظر إليها أدهشه الحال ، فأخذ يبري

أصابعه ، وسالت الدماء وهو لا يحسّ بالألم »[٦].

كما حدّثنا بذلك القرآن الكريم في قصّة النسوة (قَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ) عندما شاهدن جمال يوسف لحظات :

(وَلَمَّا رَأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشا للّهِ ما هذا بَشَراً إنْ هُوَ إلاّ مَلَكٌ كَريمٌ)[٧].

فكيف بأصحاب سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) وقد شاهدوا جماله يوم عاشوراء ، وهو جمال الله جلّ جلاله.

« وإذا لم تشعر النسوة بمضض الجراح ، فليس من الغريب ألاّ يجد أصحاب الحسين (عليه السلام) وهم زبدة العالم كلّه ألم مسّ الحديد عنه ، نهاية عشقهم لمظاهر الجمال الإلهي ، ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة بعد التكهرب بولاء سيّد الشهداء (عليه السلام) »[٨].

ويقول العلاّمة الشيخ محمّد جواد مغنية[٩] في ذيل الآية الشريفة :

(قُلْ إنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأبْناؤُكُمْ وَإخْوانُكُمْ وَأزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأمْوالٌ اقْتَرَفْتُموها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنَ تَرْضَوْنَها أحَبُّ إلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ وَجِهاد في سَبيلِهِ فَتَرَبَّصوا حَتَّى يَأتِيَ اللّهُ بِأمْرِهِ وَاللّهُ لا يَهْدي القَوْمَ الفاسِقينَ)[١٠].

إنّ هذه الآية الكريمة نصّ صريح في صفات عمر بن سعد ، حتّى كأنها نزلت فيه بالذات . فلقد دعاه الحسين إلى أن يكون معه ويدع ابن زياد ، فقال ابن سعد : أخاف أن تهدم داري . وهذا مصداق قوله تعالى :

(وَمَساكِنَ تَرْضَوْنَها).

قال الحسين : أنا أبنيها لك.

قال ابن سعد : أخاف أن تؤخذ ضيعتي . وهذا ما دلّ عليه قوله سبحانه :

(وَأمْوالٌ اقْتَرَفْتُموها).

قال الحسين : أنا أخلف عليك خيراً منها.

قال ابن سعد : إنّ لي بالكوفة عيالا أخاف عليهم ابن زياد . وهذا ما أشار إليه قوله تعالى :

(وَأبْناؤُكُمْ وَأزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ).

هذا هو مبدأ ابن سعد الذي عليه يموت ويحيا : ضيعته وداره وأهله وعشيرته ، أمّا الدين والضمير ، أمّا الله ورسوله ، فألفاظ يجترّها ما

دامت تحفظ له الضيعة والدار والأبناء والأقارب.

حارب ابن سعد حسيناً بدافع المنفعة الشخصيّة وحبّ الدنيا.

وكلّ من آثر المال والأهل على طاعة الله والرسول ، فإنّه على مبدأ ابن سعد ودينه . وإن بكى على الحسين حتّى ابيضّت عيناه ، ولعن ابن سعد في اليوم ألف مرّة ، ما دام لا يفعل إلاّ بنفس الباعث الذي بعث ابن سعد على قتل الحسين.

قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين.

وإذا عطفنا هذا الحديث الشريف على الحديث الذي رواه السنّة والشيعة : « حسين منّي وأنا من حسين » تكون النتيجة الطبيعية أنّ العبد لا يؤمن حتّى يكون الحسين أحبّ إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين.

وقد وجد بين المسلمين من الرجال والنساء من أحبّ النبيّ هذا الحبّ وفدوه بالأرواح والأولاد.

وتجمّع الناس مع الحسين وهو سائر في طريقه إلى العراق ، ولمّا جدّ الجدّ تفرّقوا عنه ، كما تفرّقوا عن جدّه في يوم اُحد إلاّ قليل القليل ، ولم يبقَ معه إلاّ صفوة الصفوة من الذين أحبّوا الله والرسول وآله ، وآثروا الموت من أجلهم على الأهل والمال ، كما قالها عابس الشاكري وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وأبطال كربلاء المقدّسة ...

وكان غلام مع اُمّه في كربلاء قُتل أبوه في المعركة ، فقالت له اُمّه : إخرج يا بنيّ وقاتل بين يدي الحسين ، فخرج ، ولمّا رآه الحسين (عليه السلام) قال : هذا شابّ قُتل أبوه ، ولعلّ اُمّه تكره خروجه ، فقال الغلام : اُمّي أمرتني بذلك ، فبرز وهو يقول :

أميري حسينٌ ونعم الأمير *** سرور فؤاد البشير النذير

عليٌّ وفاطمةٌ والداه *** فهل تعلمون له من نظير

وقاتل حتّى قُتل . فأخذت اُمّه رأسه وقالت : أحسنت يا بني ، يا سرور قلبي ويا قرّة عيني.

أرأيت إلى هذه ! ... اُمّ لا ترضى عن ولدها وأعزّ من كبدها ، إلاّ أن تراه مضرّجاً بدمائه ، جثّة بلا رأس.

ولا عجب ، إنّه حبّ الله ورسوله وعترته ، وليس كمثل الله ورسوله وعترته شيء . فكذلك حبّهم عند المؤمنين حقّاً لا يعادله شيء ، حتّى الأرواح والأبناء.

بهذا الحبّ ، بهذا الإخلاص لأهل البيت ، بهذه التضحية ، بهذه الروح وحدها يستعدّ المؤمنون الخلّص لما بعد الموت.

وبهذا الزهد في العاجل يقفون غداً مرفوعي الرؤوس أمام جبّار السماوات والأرض . لقد ترك الحسين وأصحابه الدنيا وما فيها لله وفي الله سبحانه وتعالى ، وضحّوا بالأرواح والأزواج والأبناء والأموال في حبّ الله وفي حبّ الحسين (عليه السلام)ومودّة القربى وإعلاء كلمة الحقّ وإدحاض كلمة الباطل . فكانوا مع الحسين وجدّه في الآخرة ، كما كانوا معه في الدنيا ، وحسن أُولئك رفيقاً.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) :

إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك ، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله عزّ وجلّ ، ويبغض أهل معصيته ، فإنّ فيك خيراً . وإن كان يحبّ أهل معصية الله ويبغض أهل طاعته ، فليس فيك خيراً ، والله يبغضك . والمرء مع من أحبّ.

عجباً لقلبي وهو يألف حبّكم *** لِمَ لا يذوب بحرقة الأرزاءِ

وعجبت من عيني وقد نظرت إلى *** ماء الفرات فلم تسل في الماءِ

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة *** لكنّما عيني لأجلك باكية

هذا والنفس الإنسانية في جوهرها عاشقة بالفعل للكمال المطلق ومطلق الكمال ، فلا بدّ أن يكون المعشوق فعليّاً كذلك ، كما يكون العشق الرابط بينهما فعليّاً ، فيتّحد العاشق والمعشوق والعشق ، ثمّ عشق الكمال في وجود الإنسان من جبلّته وفطرته ، ولا يشبعه ولا يملي فراغه ، ولو ملك ما ملك من أقطار السماوات والأرض ، إلاّ حبّ الله سبحانه وتعالى ، فيرجع الإنسان إلى ربّه ، ويفنى فيه ، وتصل نفسه المطمئنّة بذكر الله إلى غايتها ، فيأتيه الخطاب من مصدر الجلالة (فَادْخُلي في عِبادِ) أي العباد المنسوب إلى (هو) إليه سبحانه ، فيختلف عن خطاب عباد الله وعباد الرحمن ، كما يأتيه خطاب (وَادْخُلي في جَنَّتي) لا في جنّة عرضها السماوات والأرض بل في جنّة (هو) فيقف على الأسرار والعلوم الإلهية التي هي في جُنّة وحصن عن الغير ، فيدخل في جنّته اللامتناهية ، بعد أن يخرق حُجب النور والظلام ، فيصل إلى معدن العظمة ومصدر الجلالة ، ومن حجب النور وجود الإنسان نفسه ، فإنّ الوجود نور ، كما أنّ من حجب النور الصفات الحميدة ، فلا بدّ للإنسان المتكامل أن يتجاوز عن وجوده وعن صفاته المجيدة ، فيتجاوز عن الإخلاص ليصل إلى مقام المخلَصين ـ بفتح اللام ـ الذين انتهت مجاهداتهم مع النفس ، وتجاوزوا مراحل الإخلاص ، وكذلك باقي الصفات الكريمة بعد تخلّيهم من الصفات الذميمة وحجب الظلام ، بعد نزع لباس الماهية الظلمانية من وجودهم النوراني ، ووصولهم إلى قاب قوسين أو أدنى ، فلا يرون إلاّ الحقّ وأنّ ما سواه باطل ، وإنّ وجوده من وجود ربّه ، فيتصبّغ بصبغة الله ، ولا يرى في الدير ديّاراً إلاّ هو ، ولا يرى شيئاً إلاّ ورأى الله قبله ومعه وبعده ، فإنّه داخلٌ في الأشياء لا كدخول شيء في

شيء ، وخارج عنها لا كخروج شيء عن شيء ، فيرى الإنسان وجوده حقّاً بعد سيره في القوس النزولي والصعودي ، وظهوره إلى ميدان الموجودات بعدما لم يكن شيئاً مذكوراً ، فتأمّل وتفكّر فلا ينالها إلاّ ذو حظٍّ عظيم.

---

[١]سفينة البحار ٢ : ١٩٧.

[٢]في كتابه (مقتل الحسين) ٢ : ٢٢.

[٣]في كتابه (مقتل الحسين) : ٢١٩.

[٤]مقتل الحسين ؛ للمقرّم : ٢٣٢.

[٥]المصدر : ٢٤١.

[٦]مقتل الحسين ؛ للمقرّم : ٧١.

[٧]يوسف : ٣١.

[٨]المصدر : ٧٣.

[٩]في كتابه (الحسين وبطلة كربلاء) : ٤٨.

[١٠]التوبة : ٢٣.

خاتمة المطاف ـ الإمام الحسين (عليه السلام) سيّد المحبّين

الأئمة الأطهار كجدّهم المختار أُسوة لنا في كلّ شيء ، نهتدي بهداهم ، ونسير على خطاهم ، ونستنير بأنوارهم القدسيّة ، فهم القدوة في كلّ المكارم والفضائل ، وهم الأُسوة في فضيلة حبّ الله . ومولانا الحسين إمام عشّاق الله سبحانه.

جاء في مقتل الخوارزمي بسنده : إنّ الحسين (عليه السلام) خطب أصحابه ـ يوم عاشوراء ـ فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أ يّها الناس خُطّ الموت على بني آدم كمخطّ القلادة على جيد الفتاة ، وما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وإنّ لي مصرعاً أنا لاقيه ، كأ نّي أنظر إلى أوصالي تقطعها وحوش الفلوات غبراً وعفراً ، قد ملأت منّي أكراشها ، رضى الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ليوفّينا أُجور الصابرين ، لن تشذّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحمته وعترته ، ولن تفارقه أعضاؤه ، وهي مجموعة له في حضيرة القدس ، تقرّ بها عينه ، وتنجز له فيهم عدته.

لقد ضرب الإمام الحسين (عليه السلام) أروع الأمثلة في حبّ الله وعشقه يوم عاشوراء ، فإنّه قدّم كلّ ما يملك ، قدّم الأهل والأصحاب والأقرباء ، وآل الأمر إلى سبي الحرائر بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كلّ ذلك من أجل الولع والشوق والحبّ الإلهي ، حتّى هوى على الأرض صريعاً مفضوخ الهامة ، قد نبت السهم المثلّث في قلبه المقدّس ، ظمآن عطشان ولسان حاله يترنّم :

تركت الخلق طرّاً في هواكا *** وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطّعتني في الحبّ إرباً *** لما مال الفؤاد إلى سواكا